طقوس الدفن في العهد القديم والتراث العربي القديم

د. محمد أحمد عبد الحميد الفقي (*)

المستخلص:

من خلال الوقوف على الدلالات الرمزية الطقوس الدفن عند بني إسرائيل وعرب الجاهلية، تبين أن الموت عند بني إسرائيل تختلط فيه مجموعة من الطقوس والمعتقدات والشعائر، فمن ذلك أن بني إسرائيل لم يعرفوا النعش بل كان الميت يحمل على محفة وخلف الجثة المشيعون, أما الدفن فكان الميت يوضع في لحد، ومواراة الجثة التراب واجب لا مفر منه، وعدم الدفن أشنع شيء يبتلى به الميت، ومن الحسنات الكبرى التي يؤديها الحي أن يواري جثة ميت، وحتى المجرم يجب أن يدفن، وكان من علامات الحداد تمزيق الثياب العليا وارتداء ثوب الحزن، وكان المكلوم يضرب صدره، كما يسير عاري الرأس حافي القدمين ويحلق شعر رأسه ويقص لحيته أو يشذبها كذلك جرت العادة أن يصوم الأحياء حدادًا على الميت، وتعلل جميع هذه الطقوس وتلك العادات بالقرابين التي كانت تقدم للموتى أحيانًا كما أن معظمها يرجع إلى طقوس كنعانية أو شرقية أخرى. أما عن عرب ما قبل الإسلام فقد تعلقت طقوس الدفن عندهم ببقية من ديانات سماوية خاصة الحنيفية، ومع قدم العهد بها رسخت هذه الأفكار والأفعال في الذاكرة رغم ظهور الوثنية في المجتمع العربي، فكان من عادة العرب نضح القبر بالخمر، ومن طقوس البر بالموتى

(*) أستاذ دراسات العهد القديم المساعد، كلية الآداب – جامعة دمنهور.

ومحاولة إبقاء ذكراهم كانت العرب تعقر رواحلها وينضحون على القبور دمها إيمانًا منهم أن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فهو اعتراف لصنيعه وتقليد لكرمه، وقد يكون هذا الطقس له علاقة مع عادة العرب قبل الإسلام وهي النحر عند الأصنام ، فهم ينحرون الإبل أو الغنم ثم تترك لا يصد عنها إنسان ولا سبع، ومن المراسم الجنائزية التي فرضها المجتمع العربي على أهل الميت حلق الشعر، تعلن به المرأة حدادها على الفقيد بتخليها عما يزينها ويظهر جمالها، وكانت المرأة إذا توفى زوجها لبست شر ثيابها حتى تمر سنة ، لا تمس ماء ولا تقلم ظفرا ولا تزيل شعرا وفاء وحزنا عليه. وعليه يتبن أن نظرة الإنسان للموت منذ أقدم العصور حتى أحدثها، وطريقة تعامله مع جثة الميت من حيث طقوس وطرق الدفن وأنواع المدافن لم تختلف كثيرًا وإن اختلفت شكليا لكنها تشابهت من حيث المضمون.

Conclusion

By examining the symbolic connotations of burial rituals among the Israelites and pre-Islamic Arabs, it becomes clear that death among the Israelites was a complex intermingling of rituals, beliefs, and rites. For example, the Israelites did not know the coffin; the deceased was carried on a stretcher, followed by mourners. As for burial, the deceased was placed in a grave, and covering the body with dirt was an unavoidable duty. Failure to bury the deceased was the most abhorrent thing afflicting the deceased. One of the greatest good deeds performed by the living was to bury the body of a deceased person, and even a criminal must be buried. Signs of mourning included tearing off one's upper garments and wearing a mourning cloak. The bereaved would beat their chest, walk bareheaded and barefoot, shave their hair, and trim or trim their beard. It was also customary for the living to fast in mourning for the deceased. All of these rituals and customs are attributed to the offerings that were sometimes presented to the dead, and most of them trace back to Canaanite or other Eastern rituals. As for the pre-Islamic Arabs, their burial rituals were related to the remaining heavenly religions, especially the monotheistic religion. With the passage of time, these ideas and actions became ingrained in the memory despite the emergence of paganism in Arab society. It was the custom of the Arabs to sprinkle wine on the grave. Among the rituals of being dutiful to the dead and trying to preserve their memory, the Arabs would slaughter their camels and sprinkle their blood on the graves, believing that the occupant of the

grave had slaughtered animals for guests during his lifetime. This was an acknowledgment of his deeds and an imitation of his generosity. This ritual may have been related to the custom of the Arabs before Islam, which was sacrificing animals to idols. They would slaughter camels or sheep and then leave them alone, so that no human or beast would turn away from them. Among the funeral ceremonies imposed by Arab society on the family of the deceased was shaving the hair, with which the woman declared her mourning for the deceased by giving up what adorned her and showed her beauty. When a woman's husband died, she would wear her worst clothes for a year, not touching water, trimming her nails, or removing any hair out of loyalty and grief for him. It is thus clear that man's view of death from the earliest times to the most recent, and the way he dealt with the dead body in terms of burial rituals, methods, and types of burials, did not differ much, although they differed in form, but they were similar in content.

مقدمة

١-التعريف بالموضوع:

لقد شغل الموت فكر الإنسان القديم ، وكان أكثر ما يخافه على سطح الأرض ،لذلك حاول إيجاد تفسير له ، أو إيجاد طريقة تجنبه الوقوع في هذا المجهول الذي لم يختبره أحد وروى تفاصيله، ولما لم يستطع أقنع نفسه بأن الموت ليس نهاية ،إنما لحظة انتقالية من مرحلة إلى أخرى، أو أن الموت يتعلق بالجسد فقط بينما الروح تبقى حية بأشكال مختلفة ، وغيرها من الأفكار والمعتقدات .

وفي الحضارات القديمة التي تعود لعدة آلاف قبل الميلاد كثيرة هي الأساطير والقصص القديمة التي تتحدث عن تلك المحاولات أو الحلول الجزئية ، ويبدو أن نظرة الإنسان للموت لم تختلف كثيرًا منذ أقدم العصور حتى أحدثها، وطريقة تعامله مع جثة الميت من حيث طقوس وطرق الدفن وأنواع المدافن، وإن اختلفت شكليًا لكنها تشابهت من حيث المضمون. كل هذا استدعي الوقوف على الدلالات الرمزية لطقوس الدفن عند بني إسرائيل وعرب الجاهلية، فالموت عند بني إسرائيل تختلط فيه مجموعة من الطقوس والمعتقدات والشعائر ،فمن ذلك أن بني إسرائيل لم يعرفوا النعش بل كان الميت يحمل على محفة وخلف الجثة المشيعون أما الدفن فكان الميت يوضع في لحد ،ومواراة الجثة التراب واجب لا مفر منه ،وعدم الدفن أشنع شيء

يبتلى به الميت، ومن الحسنات الكبرى التي يؤديها الحي أن يواري جثة ميت ، وحتى المجرم يجب أن يدفن، وكان من علامات الحداد تمزيق الثياب العليا وارتداء ثوب الحزن ،وكان المكلوم يضرب صدره ، كما يسير عاري الرأس حافي القدمين ويحلق شعر رأسه ويقص لحيته أو يشذبها، كذلك جرت العادة أن يصوم الأحياء حدادًا على الميت ،وتعلل جميع هذه الطقوس وتلك العادات بالقرابين التي كانت تقدم للموتى أحيانًا كما أن معظمها يرجع إلى طقوس كنعانية أو شرقية أخرى.

أما عن عرب ما قبل الإسلام فقد تعلقت طقوس الدفن عندهم ببقية من ديانات سماوية خاصَّة الحنيفية ،ومع قدم العهد بها رسخت هذه الأفكار والأفعال في الذاكرة رغم ظهور الوثنية في المجتمع العربي، فكان من عادة العرب نضح القبر بالخمر، ومن طقوس البر بالموتى ومحاولة إبقاء ذكراهم كانت العرب تعقر رواحلها وينضحون على القبور دمها إيمانًا منهم أن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فهو اعتراف لصنيعه وتقليد لكرمه، وقد يكون هذا الطقس له علاقة مع عادة العرب قبل الإسلام وهي النحر عند الأصنام ، فهم ينحرون الإبل أو الغنم ثم تترك لا يصد عنها إنسان ولا سبع، ومن المراسم الجنائزية التي فرضها المجتمع العربي على أهل الميت حلق الشعر ، تعلن به المرأة حدادها على الفقيد بتخّليها عما يزينها ويظهر جمالها، وكانت المرأة إذا توفى زوجها لبست شر ثيابها حتى تمر سنة ،لا تمس ماءً ولا تقلم ظفرًا ولا تزيل شعرًا وفاءً وحزنًا عليه.

٢- **أهمية الموضوع**: تتمثل أهمية موضوع الدراسة في بيان طقوس الدفن عند بني إسرائيل وعرب ما قبل الإسلام وما صاحب تلك الطقوس من نحيب وتعديد وحداد وغيرها.

٣- **الدراسات السابقة**:

أ–دراسة بعنوان "طقوس الدفن عند العرب–دراسة في الشعر الجاهلي–" لعمرون عباسية (وقد كان تركيز الباحث على غرض من أغراض الشعر في العصر الجاهلي ألا وهو "الرثاء" الذي يعد من أهم الأغراض الشعرية التي عبرت عن الواقع الاجتماعي والديني للعرب قبل

الإسلام، وقد أغفلت الدراسة بيان تلك الطقوس عند الأمم قديما ،ونظرتهم لما بعد الموت، ولم تتعرض الدراسة أيضا للحداد وعلاماته .

ب– فيما يتعلق بطقوس الدفن موضوع هذه الدراسة فأنا لم أقف – فيما بحثت – على دراسة مستقلة تناولت الحديث عن تلك الطقوس في العهد القديم والتراث العربي القديم؛ وقد حاولت عقد مقارنة بينهما لبيان ماهية تلك الطقوس وارتباطها بطقوس أخرى .

٤- إشكالية البحث:

ترتكز الإشكالية المحورية لهذه الدراسة في هذا السؤال: هل اختلفت طقوس الدفن عند بني إسرائيل عنها عند عرب ما قبل الإسلام ومن ثم عند باقي شعوب الحضارات القديمة؟ هذا ما سنجيب عنه ضمن أسئلة فرعية من بينها: كيف كانت نظرة بني إسرائيل وعرب ما قبل الإسلام للموت؟ وهل تأثروا في نظرتهم هذه بشعوب أخرى أم لا؟ وكيف كانت نظرتهما لما بعد الموت؟

وعليه فقد شرعت في هذه الدراسة التي تحمل عنوان" طقوس الدفن في العهد القديم والتراث العربي القديم"

٥-في المنهج:

أما المنهج العلمي الذي اتبعته في هذا البحث فهو المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص المقدسة من خلال العهد القديم وكذا الأشعار عند عرب ما قبل الإسلام ،وكذلك المنهج التحليلي في تحليل هذه النصوص للوصول إلى المقصد المطلوب دراسته والمنهج المقارن في بيان أوجه الاتفاق والاختلاف في محوري الدراسة وهما العهد القديم والتراث العربي القديم /

٦-خطة البحث

يشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث:–

أما المقدمة فقد اشتملت على التعريف بالموضوع ، وأهميته ، والدراسات السابقة ، والمناهج المتبعة، وخطة البحث.

المبحث الأول: "تعريف الموت" تعرضت فيه لتعريف الموت لغةً واصطلاحًا في العهد القديم والتراث العربي القديم وبيان فكرة الموت عند الأمم قديمًا

المبحث الثاني: طقوس الدفن في العهد القديم

المبحث الثالث: طقوس الدفن في التراث العربي القديم

والخاتمة وبها أهم نتائج البحث ثم ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف الموت

أولاً: تعريف الموت في العهد القديم

أ- تعريف الموت لغة:- هذا اللفظ موجود في اللغات السامية جميعها فهو في العربية"موت"بتسكين الواو و تعني فقد الحياة والفناء وفي العبرية (מות)و(מוות)ويعني مات أو توفي[١]،وله صيغة أخرى ثنائية(מת)تحمل نفس المعنى[٢] ،وفي الآرامية فإننا نجد (מותא) يدل على الموت والوفاة [٣] ،وسواء أكان إطلاق معنى الموت على الجذر من السكون أومن ذهاب القوة فإن اللغات السامية قد اجتمعت على معنى واحد له وهو الموت، والذي عبرت عنه العبرية بأنه" الحالة التي تتوقف فيها كل الأفعال ومظاهر الحياة داخل الحيوان أو النبات"[٤]

ب- تعريف الموت اصطلاحا:

لقد نظر العهد القديم إلى الموت على أنه النهاية الطبيعية للحياة ،وأن الموت هو القدر المشترك للناس جميعا، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني" لابد أن تموت وتكون كالماء المهراق على الأرض"[٥]، وجاء في سفر أيوب "يسلم الروح كل البشر جميعا ويعود الإنسان إلى التراب"[٦]، وجاء في سفر الجامعة "لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت: للولادة وقت وللموت وقت ولكل المغروس وقت"[٧]

هذا وقد وردت الأسئلة التي تتعلق بالموت في العهد القديم على نمطين "الأول: لماذا يكون الموت نهاية لكل إنسان، والثاني: ماذا يحدث للإنسان بعد قوته وما نظرته لما بعد الموت"[٨]

ثانيا: تعريف الموت في التراث العربي القديم:-

أ- تعريف الموت لغة:

جاء في القاموس المحيط" ماتَ يَموتُ ويَماتُ ويَميتُ، فهو ميْتٌ ومَيِّتٌ: ضد حي، وماتَ: سَكَنَ ونامَ وبَليَ، أو الميْتُ مخففة: الذي مات، والميِّت والمائِتُ: الذي لم يمت بعد"[٩]

وجاء في لسان العرب "الميت والموتان ضد الحياة، وقال أبو عمرو: مات الرجل وهمد وهوَّم إذا نام، والموت: السكون، وماتت النار موتًا: برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء ،ومات الحر والبرد: باخ، وماتت الريح: ركدت وسكنت، وماتت الخمر: سكن غليانها، ومات الماء بهذا المكان: إذا نشَّفته الأرض"[١٠]

ب-تعريف الموت اصطلاحا:

– لقد عُرِفَ الموت بتعريفاتٍ متعددة منها "هو ترك النفس استعمال البدن"[١١]، وقيل بأن المراد بالموت "بطلان الشعور والفعل"[١٢]، وقيل بأن "الحياة هي رباط حركة وحس وعقل ونماء وتربية والموت ضد ذلك"[١٣] وعرَّف آخرون الموت بأنه "صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة"[١٤]

وبناء على ما تقدم يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: كيف تعاملت الأمم القديمة مع فكرة الموت ؟ وهل عرفت تلك الأمم ما يعرف بالحياة بعد الموت أم لا؟

ثالثا : فكرة الموت عند الأمم قديماً:-

كان الاعتقاد السائد لدى القدماء بأن الموت أمر حتمي ومن نصيب الإنسان غير أنه لا يعني النهاية المطلقة أو الفناء التام بل إن الموت في تصورهم انقسام الكائن الحي وانفصال الروح عن الجسد وانتقال الروح إلى طور جديد من الوجود بعد وضع الجسد في القبر وذهاب الروح إلى عالم الأرواح [١٥]، وهذه الحقيقة دفعت الإنسان إلى الاعتقاد بأن الموت هو اختفاء مؤقت عن الحياة ، وبعد ذلك يعود الميت إلى الحياة مما أدى إلى إيمانهم بوجود علاقة جدلية بين الحياة والموت قائمة على أساس لا حياة من دون موت أوليس هناك موت من دون حياة، ونتيجة لهذه الصلة بين الروح والجسد والتي تبقى حتى بعد الموت الذي يمثل راحة الروح واستقرارها في عالم الأرواح فهذا يتوقف على دفن الجسد أولاً وإقامة المراسم والشعائر الجنائزية

للميت ثانيًا ، وذلك من خلال تقديم القرابين وما يودع معه من حاجيات ومأكولات وما قام به من أعمال صالحة في حياته وما ترك من ذرية ولاسيما الأولاد الذكور"[١٦]

وعلى الرغم " من اكتشاف حتمية الموت فإنه يؤدي إلى صدمة عميقة ، وأن الإنسان لم يتقبل دون مقاومة مشهد انفصاله عن الأرض وكل بهائها أو الفقدان الحتمي لأحبائه فإن هناك عزاء تمثل في الإيمان بالبعث والخلود"[١٧]، وهذا ما تمثل عند الكنعانيين الذين كانوا" يؤمنون بوجود حياة بعد الموت، ولكن فكرتهم عن هذه الحياة كانت بسيطة للغاية فهي لم تكن مثل عقائد ما بعد الموت المصرية وربما اقتربت من العقائد العراقية القديمة بشكل أقوى ..رغم أن الكنعانيين أضافوا لها فكرة اصطحاب الميت لأدواته وحاجاته بعد أن يدفن في القبر، وكانوا يرون أن الجسد يبلى في القبر ولكن الروح تتحول إلى ظل يشبه الجسد، وهكذا يمتليء العالم الأسفل بحشود من الظلال المعتمة غير النورانية التي هي بمثابة أرواح الموتى"[١٨] أما المصريون القدماء فقد كانوا "يؤمنون بأن لكل شخص روحا غير مرئية تأخذ شكل طائر برأس إنسان وتسمى "با" وكانت الـ"با" مع "خت" تكونا الفرد ،وكلاهما يوجد في الولادة، وتكتمل الشخصية بعنصر ثالث هو الـ" كا" وهو البديل، وهو في نظر المصريين يأتي إلى الوجود في اللحظة التي يولد فيها الإنسان، والفرد يذهب إلى الـ"كا" الخاصة به فيما بعد الحياة"والـ"كا" لا تفنى في السماء، وهي تحرس الميت وتحميه فيما بعد الحياة، فحين يموت المرء ويرقد جسده في القبر وتذهب الـ"با" إلى العلم الآخر وترتبط بالـ" كا" ولكي يحافظ على هذه الصلة بين الـ"با"والـ"كا" في العالم الكائن وراء القبر ، كان يصر على الاحتفاظ بالجسد دون أن يبلى، ومن هنا جاء التحنيط بغية الإبقاء على كمال الجسد بعد انفصال الروح"[١٩]

أما البابليون فكانوا يرون أن الكائن الحي ينقسم قسمين هما: الروح والجسد ، فأما الروح فتنحدر إلى عالم الموتى لتبقى إلى حيث الأبد، فهم لا قيامة ولا رجعة عندهم"[٢٠]؛إذ أن " عقيدة الخلود لم يكن فيها ما تبتهج له نفس البابلي إذ أن دينه دينًا أرضيًا عمليًا فإذا صلى لم يكن يطلب في صلاته ثوابًا في الجنة بل كان يطلب متسعًا في الأرض"[٢١]. ومما هو جدير بالذكر فإن إهمال الأحياء لدفن الميت أو أنه لم يدفن أصلا لأي سبب كان أو لم تقم الشعائر

الجنائزية على روحه فإن روحه حسب الاعتقاد القديم لا تستقر في عالم الأرواح وتهيم حول مكانه على الأرض وتخرج بهيئة شبح مخيف يفزع الأحياء ويلحق الضرر والأذى"[٢٢]،ولهذا كان طعام القربان عند البابليين" يقدم كل شهر للراحل اتقاء لأذاه أكثر منه تكريما له لأنه من المعتقد في الواقع أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول إلى روح شريرة تسمى "إديمو" وتنضم إلى طبقة الـ"أوتوكي" الأشرار"[٢٣]

أما عن الموت عند بني إسرائيل فتختلط فيه مجموعة من الطقوس والمعتقدات والشعائر، يقول حاييم الزعفراني "الموت الذي يباغت المرء بسبب حادث أو على إثر مرض...وهو مناسبة لعديد من الطقوس والفرائض ؛إنه مظهر الخلاص اليهودي الطائفي والديني والشرعي لهذه الشعيرة التي تتمثل شعائر أخرى تستقى من المتخيل الاجتماعي، ومن معتقدات العامة ومطلق الناس، ومن الفلكلور المحلي والسحر مع بعض أفعال تعبدية واحتفائية"[٢٤]،وعندهم أن الموت حقيقة حتمية لا مفر منها ، جاء في سفر أيوب" לֹא-לְעֹלָם אֶחְיֶה " لاَ إِلَى الأَبَدِ أَحْيَا"[٢٥] وهناك من بني إسرائيل من يرى أن الموت يرمز إلى العودة إلى الأهل والأسلاف والانضمام إليهم ، وعلى هذا الأساس اهتم بنو إسرائيل بدفن موتاهم بجوار بعضهم البعض، جاء في سفر الملوك الأول"וַתָּשָׁב, וַתֹּאכַל לֶחֶם וַתֵּשְׁתְּ מַיִם, בַּמָּקוֹם אֲשֶׁר דִּבֶּר אֵלַיִךְ, אַל-תֹּאכַל לֶחֶם וְאַל-תֵּשְׁתְּ מָיִם--לֹא-תָבוֹא נִבְלָתֵךְ, אֶל-קֶבֶר אֲבֹתָיִךְ""فَرَجَعْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزًا وَشَرِبْتَ مَاءً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَكَ: لاَ تَأْكُلْ فِيهِ خُبْزًا وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً، لاَ تَدْخُلُ جُثَّتُكَ قَبْرَ آبَائِكَ» " [٢٦]،أما عن نظرتهم لما بعد الموت "فاليهودية تهتم بالأعمال ولا تعنى بالإيمان، وتبعا لذلك من الواضح ألا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، فقلما يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ،ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود ،وكان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا"[٢٧]،وقد صرّح الدكتور هربرت لوي بأن " هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها في اليهودية بالذات وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب حيث لا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ولا يرد فيها شيء عن الخلود ،ويعتقدون أن الجنة على الأرض وأن كل ثواب وعقاب هو في

الدنيا"[٢٨]، هذا ويصور لنا العهد القديم الدار الآخرة كما تصوّرها أساطير حضارة الرافدين فهي عالم أسفل يقع تحت عالمنا هذا. وعبّر عن هذا العالم الأسفل بالاسم العبري (شيئول) الذي تعبّر عنه الترجمات العربية باسم (الهاوية) أو (الجحيم). كما يصفها العهد القديم بأرض اللاعودة والظلام ونهارها كالديجور وبواباتها تشبه بوابات العالم الأسفل في بابل [٢٩]، جاء في سفر العدد"וַיֵּרְדוּ הֵם וְכָל-אֲשֶׁר לָהֶם, חַיִּים--שְׁאֹלָה ; וַתְּכַס עֲלֵיהֶם הָאָרֶץ, וַיֹּאבְדוּ מִתּוֹךְ הַקָּהָל."فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ الأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ"[٣٠]

هذا وقد كان الإنسان البدائي لا ينفك يرى في أن قوى الطبيعة وراء كل ما يتعرض له من خير أو شر، وبتدرج الوقت وبتقلباته أصبحت النظرة إلى الموت أكثر واقعية ، ومثّل الموت القلق الوجودي الأكبر عند الجاهلي ؛إذ ظل يرهق فكره ووجدانه ؛إذ لم يكن في تصوره أن وراء الأحداث والظواهر قوى عاقلة تدير الكون وتنظم أمره ،وتوجهه وجهة ذات غاية لافتقارهم إلى معتقد ديني يفسر مغاليق الوجود"[٣١]، فكان أن الموت عندهم سوف يدركهم كما أدرك الغابرين ، يقول جذل بن أشمط مخاطبًا ابنه بأنه صائر إلى الردى كما صار إليه سابقوه:[٣٢]

أأمام إن الدهر أهلك صرفه إرمًا وعادا

وابتز داودا وأخرج من مساكنها إيادا

وسما فأدرك أسعد الخيرات قد جمع العتادا

واحتطه والدهر يعقب بعد صالحه فسادا

وقد تخللت نظرة الجاهليين تلك لمحات من معتقدات دينية أتت عن طريق الحنيفية واليهودية التي انتشرت في الحجاز ثم النصرانية التي انتشرت بالتبشير بين أهالي العراق والشام وشرق الجزيرة[٣٣]، تلك النظرة التي ترى حتمية الموت، وقد عبر عمرو بن كلثوم عن ذلك بقوله:[٣٤]

وإنّا سوف تدركنا المنايا

مقدرة لنا ومقدرينا

ويرى عدي بن زيد العبادي أن الحياة آيلة إلى الفناء، وأن على الإنسان ألا يأمن الدهر بعد أن عجز عن الوقوف أمامه:[٣٥]

قد أرانا وأهلنا بحفير نحسب الدهر والسنين شهورا
فأمنَّا وغرَّنا ذاك حتى راعنا الدهر قد أتانا مغيرا
إن للدهر صولة فاحذرنها لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد ينام الفتى صحيحًا فيرْدى ولقد بات آمنًا مسرورا
إنما الدهر لينٌ ونطوحٌ يترك العظم واهيًا مكسورا
فاسأل الناس أين آل قيسٍ طحطح الدهر قبلهم سابورا
خطفته منيةٌ فتردَّى وهو في ذلك يأمل التَّعميرا

هذا ولا يوجد دين بلا طقوس ، فهي من مستلزمات الدين ،وتتجلى العبادة بإجراء الطقوس، وتضع الأساطير بعض أسس الطقوس ومظاهرها، ويستمر أداء الطقوس لأن الأسطورة أكدت إجراءها فيما مضى، وقد أوضح "موريس ليمان" أهمية الطقوس لدى القدماء بقوله" إن الطقوس تؤكد الاحتياج الذي يجعل الإنسان والطبيعة يتعاونان، والطقوس أسلوب من التعبير للنفوذ في العالم الذي لا يخضع للتجربة ولإجراء مقايضة معه"[٣٦]

أما خزعل الماجدي فيعرفها في قوله "هي الشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت ،وتعبر عن بعض جوانب الميثولوجيا وتكسبها صفة الديمومة والاتصال مع اللاهوت"[٣٧]

وهنا يبرز سؤال مهم مفاده :هل عرف بنو إسرائيل طقوسا لدفن موتاهم؟ وإن وجدت تلك الطقوس فهل كانت ترمز لأشياء معينة أم لا؟

المبحث الثاني: طقوس الدفن في العهد القديم

إن الموت عند بني إسرائيل لا يمر هكذا وإنما تتخلله مجموعة من الطقوس التي تعبر عن قدسيته ورمزيته، فهو" طقس لإظهار علائم الحزن وللتعبير في نفس الوقت عن الأمل في البعث ومجيء المخلص"[٣٨]

وقد كانت طقوس الدفن عند بني إسرائيل في معظمها طقوسًا كنعانية فقد "أثبتت الآثار التي وصلتنا أن الطقوس الدينية الإسرائيلية ترجع كثرتها إلى أصول كنعانية حتى أصبح من العسير على الباحث في العقائد الاسرائيلية أن يعزلها عن الأصول الكنعانية"(٣٩)، ويعلل الدارسون عدم وجود تشريع خاص بكنعان إلى أن "البلاد قد اصطبغت بالتأثير المصري والبابلي مما يرجح أن تكون القوانين السائدة في كل من البلدين هي المعمول بها في كنعان"(٤٠)

هذا وقد تعددت تلك الطقوس على النحو الآتي:

أولا: معرفة الموتى من ردائهم:-

فقد كان الميت يعرف من كفنه ؛الملك من تاجه والمحارب من سيفه ،والنبي من عباءته، جاء في سفر صموئيل الأول" וַיֹּאמֶר לָהּ הַמֶּלֶךְ אַל-תִּירְאִי, כִּי מָה רָאִית; וַתֹּאמֶר הָאִשָּׁה אֶל-שָׁאוּל, אֱלֹהִים רָאִיתִי עֹלִים מִן-הָאָרֶץ .וַיֹּאמֶר לָהּ, מַה-תָּאָרוֹ, וַתֹּאמֶר אִישׁ זָקֵן עֹלֶה, וְהוּא עֹטֶה מְעִיל "

" فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «لاَ تَخَافِي. فَمَاذَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِشَاوُلَ: «رَأَيْتُ آلِهَةً يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». ١٤فَقَالَ لَهَا: «مَا هِيَ صُورَتُهُ؟» فَقَالَتْ: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ».(٤١)

وجاء في سفر حزقيال" שָׁם מָשְׁךְ תִּבַל וְכָל-הֲמוֹנָהּ, סְבִיבוֹתָיו קִבְרוֹתָיהָ; כֻּלָּם עֲרֵלִים מְחֻלָלֵי חָרֶב, כִּי-נָתְנוּ חִתִּיתָם בְּאֶרֶץ חַיִּים " " هُنَاكَ مَاشِكُ وَتُوبَالُ وَكُلُّ جُمْهُورِهَا، حَوْلَهُ قُبُورُهَا. كُلُّهُمْ غُلْفٌ قَتْلَى بِالسَّيْفِ، مَعَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا رُعْبَهُمْ فِي أَرض الأَحْيَاءِ."(٤٢)،وعليه فقد كان الميت يدفن كما كان في الحياة الدنيا أي بردائه.

ثانيا: اهتمام الأحياء بالأموات:

من علامات اهتمام الأحياء بالأموات أن يحمل الميت على محفة(*) وخلف الجثة المشيعون، ودلالة ذلك ما جاء في سفر صموئيل الثاني" וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל-יוֹאָב וְאֶל-כָּל-הָעָם אֲשֶׁר-אִתּוֹ, קִרְעוּ בִגְדֵיכֶם וְחִגְרוּ שַׂקִּים, וְסִפְדוּ, לִפְנֵי אַבְנֵר; וְהַמֶּלֶךְ דָּוִד, הֹלֵךְ אַחֲרֵי הַמִּטָּה

"فَقَالَ دَاوُدُ لِيُوآبَ وَلِجَمِيعِ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ: «مَزِّقُوا ثِيَابَكُمْ وَتَنَطَّقُوا بِالْمُسُوحِ وَالْطِمُوا أَمَامَ أَبْنَيْرَ». وَكَانَ دَاوُدُ الْمَلِكُ يَمْشِي وَرَاءَ النَّعْشِ "(٤٣)

كما كان الميت يوضع في لحد ،جاء في سفر التكوين" וְאַחֲרֵי-כֵן קָבַר אַבְרָהָם אֶת-שָׂרָה אִשְׁתּוֹ, אֶל-מְעָרַת שְׂדֵה הַמַּכְפֵּלָה עַל-פְּנֵי מַמְרֵא—הִוא חֶבְרוֹן: בְּאֶרֶץ, כְּנָעַן " " וַبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ"(٤٤)

ومواراة الجثة التراب واجب لا مفر منه ، وعدم الدفن أشنع شيء يبتلى به الميت ،فقد "كان الاعتقاد السائد بين الساميين أن عدم دفن جثث الموتى عار كبير"(٤٥) جاء في سفر عاموس" כֹּה, אָמַר יְהוָה, עַל-שְׁלֹשָׁה פִּשְׁעֵי מוֹאָב, וְעַל-אַרְבָּעָה לֹא אֲשִׁיבֶנּוּ: עַל-שָׂרְפוֹ עַצְמוֹת מֶלֶךְ-אֱדוֹם, לַשִּׂיד " " هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِ مُوآبَ الثَّلاَثَةِ وَالأَرْبَعَةِ لاَ أَرْجِعُ عَنْهُ، لأَنَّهُمْ أَحْرَقُوا عِظَامَ مَلِكِ أَدُومَ كِلْسًا"(٤٦)،جاء في السنن القويم "العمل هو عمل وحشي بربري ولاسيما إذا فهمنا أنهم أخذوا عظام الملك من قبره لأن التعدي على قبر الميت معتبر كتدنيس الأشياء المقدسة"(٤٧)

وجاء في سفر الملوك الأول" הַמֵּת לָיָרָבְעָם בָּעִיר, יֹאכְלוּ הַכְּלָבִים, וְהַמֵּת בַּשָּׂדֶה, יֹאכְלוּ עוֹף הַשָּׁמָיִם: כִּי יְהוָה, דִּבֵּר" " مَنْ مَاتَ لِيَرُبْعَامَ فِي الْمَدِينَةِ تَأْكُلُهُ الْكِلاَبُ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْحَقْلِ تَأْكُلُهُ طُيُورُ السَّمَاءِ، لأَنَّ الرَّبَّ تَكَلَّمَ. "(٤٨) ، جاء في السنن القويم "إنه لأمر طبيعي أن يشتهي الإنسان لنفسه أن يدفن بإكرام ويكون له ذكر طيب بعد موته ومن أعظم المصائب أن تأكله الكلاب أو الطيور"(٤٩)

ويبدو أن هذا الطقس مأخوذ من الطقوس البابلية فإن " من تبقى جثته ملقاة في الحقول يظل خياله غير مستقر في الأرض وعلى ذلك فإن الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة" (٥٠)

ومن الحسنات الكبرى التي يؤديها الحي أن يواري جثة ميت ، جاء في سفر حزقيال"וְעָבְרוּ הָעֹבְרִים, בָּאָרֶץ, וְרָאָה עֶצֶם אָדָם, וּבָנָה אֶצְלוֹ צִיּוּן—עַד קָבְרוּ אֹתוֹ הַמְקַבְּרִים"فَيَعْبُرُ الْعَابِرُونَ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا رَأَى أَحَدٌ عَظْمَ إِنْسَانٍ يَبْنِي بِجَانِبِهِ صُوَّةً حَتَّى يَقْبِرَهُ الْقابرون"(٥١)، وجاء في سفر صموئيل الثاني"וַתִּקַּח רִצְפָּה בַת-אַיָּה אֶת-הַשַּׂק וַתַּטֵּהוּ לָהּ אֶל-הַצּוּר, מִתְּחִלַּת קָצִיר, עַד נִתַּךְ-מַיִם עֲלֵיהֶם, מִן-הַשָּׁמָיִם; וְלֹא-נָתְנָה עוֹף הַשָּׁמַיִם לָנוּחַ עֲלֵיהֶם יוֹמָם, וְאֶת-חַיַּת הַשָּׂדֶה, לָיְלָה." "فَأَخَذَتْ رِصْفَةُ

ابْنَةُ أَيَّةَ مِسْحًا وَفَرَشَتْهُ لِنَفْسِهَا عَلَى الصَّخْرِ مِنِ ابْتِدَاءِ الْحَصَادِ حَتَّى انْصَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَدَعْ طُيُورَ السَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ نَهَارًا، وَلاَ حَيَوَانَاتِ الْحَقْلِ لَيْلاً "[٥٢]، جاء في السنن القويم "من أعظم المصائب الموت بلا دفن وتسليم الجثة للطيور والوحوش"[٥٣]

وحتى المجرم يجب أن يدفن ؛جاء في سفر التثنية"וְכִי-יִהְיֶה בְּאִישׁ, חֵטְא מִשְׁפַּט-מָוֶת--וְהוּמָת: וְתָלִיתָ אֹתוֹ, עַל-עֵץ לֹא-תָלִין נִבְלָתוֹ עַל-הָעֵץ, כִּי-קָבוֹר תִּקְבְּרֶנּוּ בַּיּוֹם הַהוּא--כִּי-קִלְלַת אֱלֹהִים, תָּלוּי; וְלֹא תְטַמֵּא, אֶת-אַדְמָתְךָ, אֲשֶׁר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, נֹתֵן לְךָ נַחֲלָה " «وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا"[٥٤]

ثالثا: **العنصرية في مقابر الدفن**:

لقد كانت المقابر قديما عبارة عن الكهوف الموجودة في التلال وفي العصر الملكي وتحت تأثير الفينيقيين أخذ بنو إسرائيل ينحتون المقابر في الصخر كما جرت العادة منذ العصر الكنعاني أن تدفن مع الميت جرار ومعها مصابيح وأطباق وما إليها من ضروريات الحياة الدنيا، فقد كان الكنعانيون "يؤمنون بوجود حياة بعد الموت ولكن فكرتهم عن هذه الحياة كانت بسيطة للغاية ،فهي لم تكن مثل عقائد ما بعد الموت المصرية وربما اقتربت من العقائد العراقية القديمة بشكل أقوى.. رغم أن الكنعانيين أضافوا لها فكرة اصطحاب الميت لأدواته وحاجاته بعد أن يدفن في القبر "[٥٥]

وكان بنو إسرائيل يقيمون المقابر بجوار مساكنهم ،جاء في سفر التكوين"וַיְדַבֵּר אִתָּם, לֵאמֹר: אִם-יֵשׁ אֶת-נַפְשְׁכֶם, לִקְבֹּר אֶת-מֵתִי מִלְפָנַי--שְׁמָעוּנִי, וּפִגְעוּ-לִי בְּעֶפְרוֹן בֶּן-צֹחַר .וְיִתֶּן-לִי, אֶת-מְעָרַת הַמַּכְפֵּלָה אֲשֶׁר-לוֹ, אֲשֶׁר, בִּקְצֵה שָׂדֵהוּ: בְּכֶסֶף מָלֵא יִתְּנֶנָּה לִי, בְּתוֹכְכֶם--לַאֲחֻזַּת-קָבֶר"" وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «إِنْ كَانَ فِي نُفُوسِكُمْ أَنْ أَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي، فَاسْمَعُونِي وَالْتَمِسُوا لِي مِنْ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ أَنْ يُعْطِيَنِي مَغَارَةَ الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي لَهُ، الَّتِي فِي طَرَفِ حَقْلِهِ. بِثَمَنٍ كَامِلٍ يُعْطِينِي إِيَّاهَا فِي وَسَطِكُمْ مُلْكَ قَبْرٍ».»[٥٦]، وجاء في سفر صموئيل الأول"וַיָּמָת שְׁמוּאֵל--וַיִּקָּבְצוּ כָל-יִשְׂרָאֵל וַיִּסְפְּדוּ-

לוֹ, וַיִּקְבְּרֻהוּ בְּבֵיתוֹ בָּרָמָה "" וַמָתَ صَمُوئِيلُ، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ "[٥٧]، وجاء في سفر الملوك الأول" וַיַּעַל, בְּנָיָהוּ בֶּן-יְהוֹיָדָע, וַיִּפְגַּע-בּוֹ, וַיְמִתֵהוּ ; וַיִּקָּבֵר בְּבֵיתוֹ, בַּמִּדְבָּר " وترجمته "فَصَعِدَ بَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ وَبَطَشَ بِهِ وَقَتَلَهُ، فَدُفِنَ فِي بَيْتِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ "[٥٨]، أما في المدن فكان هذا الوضع عسيرًا ، فإن ملوك مملكة يهوذا اتخذوا من أبراجهم مدافن لهم، جاء في سفر حزقيال" וַיֹּאמֶר אֵלַי, בֶּן-אָדָם אֵת-מְקוֹם כִּסְאִי וְאֵת-מְקוֹם כַּפּוֹת רַגְלַי, אֲשֶׁר אֶשְׁכָּן-שָׁם בְּתוֹךְ בְּנֵי-יִשְׂרָאֵל, לְעוֹלָם ; וְלֹא יְטַמְּאוּ עוֹד בֵּית-יִשְׂרָאֵל שֵׁם קָדְשִׁי הֵמָּה וּמַלְכֵיהֶם, בִּזְנוּתָם, וּבְפִגְרֵי מַלְכֵיהֶם, בָּמוֹתָם" "وَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هذَا مَكَانُ كُرْسِيِّي وَمَكَانُ بَاطِنِ قَدَمَيَّ حَيْثُ أَسْكُنُ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يُنَجِّسُ بَعْدُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ اسْمِي الْقُدُّوسَ، لاَ هُمْ وَلاَ مُلُوكُهُمْ، لاَ بِزِنَاهُمْ وَلاَ بِجُثَثِ مُلُوكِهِمْ فِي مُرْتَفَعَاتِهِمْ"[٥٩]

أما فقراء بني إسرائيل الذين لم تكن لهم مقابر خاصة ،فقد شيدت لهم مقابر جماعية، جاء في سفر إرميا" וַיּוֹצִיאוּ אֶת-אוּרִיָּהוּ מִמִּצְרַיִם, וַיְבִאֻהוּ אֶל-הַמֶּלֶךְ יְהוֹיָקִים, וַיַּכֵּהוּ, בֶּחָרֶב ; וַיַּשְׁלֵךְ, אֶת-נִבְלָתוֹ, אֶל-קִבְרֵי, בְּנֵי הָעָם "فَأَخْرَجُوا أُورِيَّا مِنْ مِصْرَ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ يَهُويَاقِيمَ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ وَطَرَحَ جُثَّتَهُ فِي قُبُورِ بَنِي الشعب"[٦٠]، وجاء في سفر إشعياء" וַיִּתֵּן אֶת-רְשָׁעִים קִבְרוֹ " " وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ"[٦١]، جاء في السنن القويم" كان المصلوبون يطرحون بلا دفن وإذا دفنوا كان الدفن في مقبرة مختصة بالمذنبين"[٦٢]

وكان القوم حريصين على أن يدفنوا بجوار آبائهم وإلا فالشقاء يلاحقهم، جاء في سفر الملوك الأول"וַתָּשָׁב, וַתֹּאכַל לֶחֶם וַתֵּשְׁתְּ מַיִם, בַּמָּקוֹם אֲשֶׁר דִּבֶּר אֵלַיִךְ, אַל-תֹּאכַל לֶחֶם וְאַל-תֵּשְׁתְּ מָיִם--לֹא-תָבוֹא נִבְלָתֵךְ, אֶל-קֶבֶר אֲבֹתָיִךְ"وترجمته "فَرَجَعْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزًا وَشَرِبْتَ مَاءً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَكَ: لاَ تَأْكُلْ فِيهِ خُبْزًا وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً، لاَ تَدْخُلُ جُثَّتُكَ قَبْرَ آبَائِكَ»"[٦٣]، جاء في السنن القويم" لا يموت موتا طبيعيا ولا يدفن دفنا اعتياديا وذلك مصيبة عظيمة ولاسيما عند القدماء"[٦٤]

رابعا: **إعلان الحداد**:-

إن طقوس الحداد والمراثي الشعبية ما هي إلا "إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي، والغرض من ذلك حماية الإنسان الفرد من دوافع الخوف والقلق الداخلي ،من ناحية أخرى كان

الموت ملهمًا لكثير من الشعراء، فموت الأقارب والأحبة يوقظ في الشعراء قريحتهم الشعرية فيسكبون مشاعرهم في مرثيات رائعة تعبر عن سمو روحهم تخليدًا لذكرى الفقيد"[٦٥]

وبعد أن ضعف حفظ التعديد وإنشاؤه ، كانت قريبات الميت يستأجرن معددات تخصصن في حفظ التعديد ولطم الخدود، ومصاحبة النعش في الطريق إلى القبر بتعديدهن ونواحهن، كما جاء في سفر صموئيل الثاني"וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל-יוֹאָב וְאֶל-כָּל-הָעָם אֲשֶׁר-אִתּוֹ, קִרְעוּ בִגְדֵיכֶם וְחִגְרוּ שַׂקִּים, וְסִפְדוּ, לִפְנֵי אַבְנֵר; וְהַמֶּלֶךְ דָּוִד, הֹלֵךְ אַחֲרֵי-הַמִּטָּה." وترجمته" فَقَالَ دَاوُدُ لِيُوآبَ وَلِجَمِيعِ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ: «مَزِّقُوا ثِيَابَكُمْ وَتَنَطَّقُوا بِالْمُسُوحِ وَالْطِمُوا أَمَامَ أَبْنَيْرَ». وَكَانَ دَاوُدُ الْمَلِكُ يَمْشِي وَرَاءَ النَّعْشِ"[٦٦]، كما كان يفعل ذلك المصريون القدماء والبابليون[٦٧]

وبالإضافة إلى استئجار النساء المعددات ،كانت أيضا تتم دعوة النساء الحكيمات ؛إذ جاء في سفر إرميا" כֹּה אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת, הִתְבּוֹנְנוּ וְקִרְאוּ לַמְקוֹנְנוֹת וּתְבוֹאֶינָה; וְאֶל-הַחֲכָמוֹת שִׁלְחוּ, וְתָבוֹאנָה. וּתְמַהֵרְנָה, וְתִשֶּׂנָה עָלֵינוּ נֶהִי " " هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: تَأَمَّلُوا وَادْعُوا النَّادِبَاتِ فَيَأْتِينَ، وَأَرْسِلُوا إِلَى الْحَكِيمَاتِ فَيُقْبِلْنَ وَيُسْرِعْنَ وَيَرْفَعْنَ عَلَيْنَا مَرْثَاةً، "[٦٨]

ولم يقتصر الأمر على النساء المعددات والحكيمات فقط، بل كان هناك من الرجال من تخصص في حفظ التعديد والقدرة على إنشائه وارتجاله والطواف بالأسواق لإعلام الناس أن فلانا قد مات ، من ذلك ما جاء في سفر عاموس" בְּכָל-רְחֹבוֹת מִסְפֵּד, וּבְכָל-חוּצוֹת יֹאמְרוּ הוֹ-הוֹ; וְקָרְאוּ אִכָּר אֶל-אֵבֶל, וּמִסְפֵּד אֶל-יוֹדְעֵי נֶהִי" "فِي جَمِيعِ الأَسْوَاقِ نَحِيبٌ، وَفِي جَمِيعِ الأَزِقَّةِ يَقُولُونَ: آهِ! آهِ! وَيَدْعُونَ الْفَلاَّحَ إِلَى النَّوْحِ، وَجَمِيعَ عَارِفِي الرِّثَاءِ لِلنَّدْبِ"[٦٩]، وجاء في سفر الجامعة" וְסֹבְבוּ בַשּׁוּק הַסּוֹפְדִים "" وَالنَّادِبُونَ يَطُوفُونَ فِي السُّوقِ"[٧٠]، جاء في السنن القويم "كان النادبون يتبعون النعش وأحيانا كانوا رجالا ونساء صنعتهم الندب ولهم أجرة وأحيانا يرثون مراثي طويلة وشعرية"[٧١]

هذا وقد ظهر رافد آخر يبين مدى حزن الحي على الميت ألا وهو الرثاء، والرثاء هو: بكاء الميت وتعديد محاسنه ،وهو من الفعل رثى فيقال: رثى فلان فلانا: يرثيه رثيًا ومرثية إذا بكاه بعد موته.. وإن مدحه بعد موته قل: رثاه يرثيه ترثية[٧٢] الرثاية النواحة التي تترحم على الميت وتندبه[٧٣]

ويختلف الرثاء في العهد القديم عن التعديد في نواحٍ كثيرة "فالتعديد موروث شعبي لا ينسب إلى قائل أو قائلة معينة، أما الرثاء فهو شعر فردي تنسب كل قصيدة فيه إلى قائل معين كما يختلف التعديد عن الرثاء اختلافًا واضحًا في الاتجاه الرئيسي، فالتعديد يتجه إلى تعديد الحزن وإثارة العاطفة، بينما يتجه الرثاء إلى المعاني وتعداد فضائل الميت والتفنن في صوغها وتصويرها، بالإضافة إلى ذلك فإن الرثاء ينظمه شخص تربطه بالميت علاقة قوية، فهو يعرفه حق المعرفة، أما التعديد فلا يلزم أن تقوله من هي ذات صلة بالميت، فقد لا تكون من قريباته من تجيد التعديد، ويترتب على ذلك أن تتولى التعديد إما معددة بأجر، وإما مجاملة من المعزيات وكلتاهما –غالبا– لا تعرف الميت، مما يجعل التعديد خاليًا من المعاني الصادقة بعكس الرثاء الذي يهتم بالمعاني وسرد التفاصيل"[٧٤]

هذا وكان يفرض الصمت على الأرملة "وهي المرأة التي مات زوجها سواء في السلم أوفي الحرب ويطلق عليها في اللغة العبرية لفظ "אלמנה"(الخرساء) وارتباط الأرملة بلفظ "אלם"الذي يعني السكون أو الصمت قد يرجع إلى انتشار العادة التي تفرض الصمت على الأرملة لبعض الوقت وربما لوقت طويل بعد وفاة زوجها"[٧٥]، وقد ورد ذكر هذه اللفظة في العهد القديم في صيغة المفرد المذكر والمفرد المؤنث وكذا جمع المؤنث[٧٦]

وكانت الأرملة في المجتمع العبري القديم عبئا على أهلها أو على أهل زوجها ، وكانت تعامل مثل اليتيم أو الغريب، جاء في سفر التثنية"עֹשֶׂה מִשְׁפַּט יָתוֹם, וְאַלְמָנָה ; וְאֹהֵב גֵּר, לָתֶת לוֹ לֶחֶם וְשִׂמְלָה." "الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب ليعطيه طعاما ولباسا"[٧٧]، وفي بعض الأحيان كان وضعها أسوأ من وضع العبيد إذ أن العبيد لم يكونوا في حاجة إلى حماية وأصبحت معاملتهم لا تتسم بالقسوة والاحتقار"[٧٨]، وبينما لا نجد اهتمامًا

بالأرملة في بعض أسفار العهد القديم فإننا نجد أسفارًا أخرى كسفر التثنية يوصي كثيرًا بالأرملة، إذ جاء فيه"וּבָא הַלֵּוִי כִּי אֵין-לוֹ חֵלֶק וְנַחֲלָה עִמָּךְ, וְהַגֵּר וְהַיָּתוֹם וְהָאַלְמָנָה אֲשֶׁר בִּשְׁעָרֶיךָ, וְאָכְלוּ, וְשָׂבֵעוּ--לְמַעַן יְבָרֶכְךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, בְּכָל-מַעֲשֵׂה יָדְךָ אֲשֶׁר תַּעֲשֶׂה" "فَيَأْتِي اللاَّوِيُّ، لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قِسْمٌ وَلاَ نَصِيبٌ مَعَكَ، وَالْغَرِيبُ وَالْيَتِيمُ وَالأَرْمَلَةُ الَّذِينَ فِي أَبْوَابِكَ، وَيَأْكُلُونَ وَيَشْبَعُونَ، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدِكَ الَّذِي تَعْمَلُ"[٧٩]

وكان في مقابل ذلك إذا ماتت الزوجة فكان على الزوج أن يقيم لها مراسم الدفن حسب مكانتها أو مكانته، لذلك اشترى إبراهيم قبرًا لزوجنه بثمنٍ كبير ،جاء في سفر التكوين" וַיָּעַן עֶפְרוֹן אֶת-אַבְרָהָם, לֵאמֹר לוֹ. טו אֲדֹנִי שְׁמָעֵנִי, אֶרֶץ אַרְבַּע מֵאת שֶׁקֶל-כֶּסֶף בֵּינִי וּבֵינְךָ מַה-הִוא ; וְאֶת-מֵתְךָ, קְבֹר "فَأَجَابَ عِفْرُونُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلاً لَهُ: «يَا سَيِّدِي، اسْمَعْنِي. أَرْضٌ بِأَرْبَعِ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ، مَا هِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيْتَكَ »[٨٠] ،ونصب يعقوب عمودا على قبر راحيل ،جاء في سفر التكوين" וַיֵּצֵב יַעֲקֹב מַצֵּבָה, עַל-קִבְרָתָהּ--הִוא מַצֶּבֶת קִבֶּרֶת-רָחֵל, עַד-הַיּוֹם " فَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُودًا عَلَى قَبْرِهَا، وَهُوَ «عَمُودُ قَبْرِ رَاحِيلَ» إِلَى الْيَوْمِ"[٨١]

خامساً: **علامات الحداد**:-

لقد تعددت علامات الحداد عند بني إسرائيل ، فكان منها :-

(أ)- **تمزيق الثياب ولبس المسوح**:-

فقد كان من عادة بني إسرائيل أن يقوم المكلوم بتمزيق الثياب العليا، جاء في سفر صموئيل الثاني"וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל-יוֹאָב וְאֶל-כָּל-הָעָם אֲשֶׁר-אִתּוֹ, קִרְעוּ בִגְדֵיכֶם וְחִגְרוּ שַׂקִּים, וְסִפְדוּ, לִפְנֵי אַבְנֵר ; וְהַמֶּלֶךְ דָּוִד, הֹלֵךְ אַחֲרֵיהַמִּטָּה." وترجمته" فَقَالَ دَاوُدُ لِيُوآبَ وَلِجَمِيعِ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ: «مَزِّقُوا ثِيَابَكُمْ وَتَنَطَّقُوا بِالْمُسُوحِ وَالْطِمُوا أَمَامَ أَبْنَيْرَ». وَكَانَ دَاوُدُ الْمَلِكُ يَمْشِي وَرَاءَ النَّعْشِ"[٨٢]، جاء في السنن القويم "المسوح جمع مسح وهو نسيج من شعر يلبس على البدن قهرًا للجسد أو علامة على الحزن"[٨٣]

ويقوم المكلوم بارتداء ثوب الحزن، جاء في سفر إشعياء" בְּחוּצוֹתָיו, חָגְרוּ שָׂק " "فِي أَزِقَّتِهَا يَأْتَزِرُونَ بِمِسْحٍ."[٨٤]، جاء في السنن القويم "المسح: نسيج خشن يعمل منه الأكياس

وهو ينسج من القنب أو شعر الماعز يلبس علامة للتوبة والحزن وكانت هذه عادة الآشوريين والآراميين والفرس والاسرائيليين"[٨٥]

(ب)- **وضع التراب على الرأس**:-

وكان من علامات حزن المكلوم على الميت أن يضع التراب على رأسه، ويبدو أن دلالة ذلك أنه لا يريد أن يبعد عنه الميت ويوارى في التراب ،جاء في سفر يشوع" וַיִּקְרַע יְהוֹשֻׁעַ שִׂמְלֹתָיו, וַיִּפֹּל עַל-פָּנָיו אַרְצָה לִפְנֵי אֲרוֹן יְהוָה עַד-הָעֶרֶב--הוּא, וְזִקְנֵי יִשְׂרָאֵל; וַיַּעֲלוּ עָפָר, עַל-רָאשָׁם." "فَمَزَّقَ يَشُوعُ ثِيَابَهُ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى الْمَسَاءِ، هُوَ وَشُيُوخُ إِسْرَائِيلَ، وَوَضَعُوا تُرَابًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ"[٨٦]،جاء في السنن القويم "كان تمزيق الثياب عن القدماء بيانا لشدة الحزن والغم"[٨٧]

وجاء في سفر صموئيل الثاني" וַיְהִי בַּיּוֹם הַשְּׁלִישִׁי, וְהִנֵּה אִישׁ בָּא מִן-הַמַּחֲנֶה מֵעִם שָׁאוּל, וּבְגָדָיו קְרֻעִים, וַאֲדָמָה עַל-רֹאשׁוֹ; וַיְהִי בְּבֹאוֹ אֶל-דָּוִד, וַיִּפֹּל אַרְצָה וַיִּשְׁתָּחוּ " " وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذَا بِرَجُل أَتَى مِنَ الْمَحَلَّةِ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ وَثِيَابُهُ مُمَزَّقَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ تُرَابٌ. فَلَمَّا جَاءَ إِلَى دَاوُدَ خَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ"[٨٨]، وفي سفر إشعياء: וְאָנוּ וְאָבְלוּ, פְּתָחֶיהָ; וְנִקְּתָה, לָאָרֶץ תֵּשֵׁב""فَتَئِنُّ وَتَنُوحُ أَبْوَابُهَا، وَهِيَ فَارِغَةً تَجْلِسُ عَلَى الأَرضْ"[٨٩]

(ج)- **ضرب الصدر وتغطية الرأس**:

وكان المكلوم يضرب صدره وحقويه، جاء في سفر إشعياء עַל-שָׁדַיִם, סֹפְדִים; עַל-שְׁדֵי-חֶמֶד, עַל-נֶפֶן פֹּרִיָה "لاَطِمَاتٍ عَلَى الثُّدِيِّ مِنْ أَجْلِ الْحُقُولِ الْمُشْتَهَاةِ، وَمِنْ أَجْلِ الْكَرْمَةِ الْمُثْمِرَةِ[٩٠]، كما يسير المكلوم مغطى الرأس حافي القدمين، جاء في سفر حزقيال"הֵאָנֵק דֹּם, מֵתִים אֵבֶל לֹא-תַעֲשֶׂה--פְּאֵרְךָ חֲבוֹשׁ עָלֶיךָ, וּנְעָלֶיךָ תָּשִׂים בְּרַגְלֶיךָ; וְלֹא תַעְטֶה עַל-שָׂפָם, וְלֶחֶם אֲנָשִׁים לֹא תֹאכֵל"" تَنَهَّدْ سَاكِتًا. لاَ تَعْمَلْ مَنَاحَةً عَلَى أَمْوَاتٍ. لُفَّ عِصَابَتَكَ عَلَيْكَ، وَاجْعَلْ نَعْلَيْكَ فِي رِجْلَيْكَ، وَلاَ تُغَطِّ شَارِبَيْكَ، وَلاَ تَأْكُلْ مِنْ خُبْزِ النَّاسِ»[٩١]، وفي سفر صموئيل الثاني"וְדָוִד עֹלֶה בְמַעֲלֵה הַזֵּיתִים עֹלֶה וּבוֹכֶה, וְרֹאשׁ לוֹ חָפוּי, וְהוּא, הֹלֵךְ יָחֵף; וְכָל-הָעָם אֲשֶׁר-אִתּוֹ, חָפוּ אִישׁ רֹאשׁוֹ,

וְעָלוּ עָלֹה, וּבָכֹה." " וְאַמָּא דָּוִדُ فَصَعِدَ فِي مَصْعَدِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ. كَانَ يَصْعَدُ بَاكِيًا وَرَأْسُهُ مُغَطًّى وَيَمْشِي حَافِيًا، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ مَعَهُ غَطَّوْا كُلُّ وَاحِدٍ رَأْسَهُ، وَكَانُوا يَصْعَدُونَ وَهُمْ يَبْكُونَ"[٩٢] " ،جاء في السنن القويم" وتغطية الرأس علامة الحزن"[٩٣]

(**د**)- **حلق شعر الرأس**:-

جاء في سفر التثنية" וְלֹא-תָשִׂימוּ קָרְחָה בֵּין עֵינֵיכֶם--לָמֵת" " وَلاَ تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيْتٍ "[٩٤]،وجاء في سفر أيوب"וַיָּקָם אִיּוֹב וַיִּקְרַע אֶת-מְעִלוֹ, וַיָּגָז אֶת-רֹאשׁוֹ ; וַיִּפֹּל אַרְצָה, וַיִּשְׁתָּחוּ"[٢٠]فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ"[٩٥]، جاء في السنن القويم "تمزيق الجبة وجز الشعر علامة الحزن الشديد"[٩٦]

وجاء في سفر إشعياء"וַיִּקְרָא, אֲדֹנָי יְהוִה צְבָאוֹת--בַּיּוֹם הַהוּא: לִבְכִי, וּלְמִסְפֵּד, וּלְקָרְחָה, וְלַחֲגֹר שָׂק "وترجمته" وَدَعَا السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ وَالْقَرَعَةِ وَالتَّنَطُّقِ بِالْمِسْحِ"[٩٧]، ويبدو أن دلالة ذلك هو الامتناع عن كل ملذات الدنيا وزينتها، جاء في السنن القويم"والقرعة أي حلق شعر الرأس علامة الحزن كالنوح والتنطق بالمسح"[٩٨]

(**هـ**)- **ضرب الجسد بآلة حادة**:-

وكان المكلوم يقوم بإصابة نفسه بآلة حادة تعبيرًا عن حزنه على الميت ، جاء في سفر إرميا"וּמֵתוּ חֲלָלִים וּקְטַנִּים בָּאָרֶץ הַזֹּאת, לֹא יִקָּבְרוּ ; וְלֹא-יִסְפְּדוּ לָהֶם--וְלֹא יִתְגֹּדַד, וְלֹא יִקָּרַח לָהֶם"وترجمته "فَيَمُوتُ الْكِبَارُ وَالصِّغَارُ فِي هذِهِ الأَرْضِ. لاَ يُدْفَنُونَ وَلاَ يَنْدُبُونَهُمْ، وَلاَ يَخْمِشُونَ أَنْفُسَهُمْ وَلاَ يَجْعَلُونَ قَرَعَةً مِنْ أَجْلِهِمْ"[٩٩]

(**و**)-**الصوم**:-

جرت العادة أن يصوم الأحياء حدادا على الميت ، وكان هذا الصيام يستمر حتى الغروب أو لعدة أيام، جاء في سفر صموئيل الأول"וַיִּקְחוּ, אֶת-עַצְמֹתֵיהֶם, וַיִּקְבְּרוּ תַחַת-הָאֶשֶׁל, בְּיָבֵשָׁה ; וַיָּצֻמוּ, שִׁבְעַת יָמִים "وترجمته "وَأَخَذُوا عِظَامَهُمْ وَدَفَنُوهَا تَحْتَ الأَثْلَةِ فِي

يَابِيشَ، وَصَامُوا سَبْعَةَ أَيَّامٍ."[١٠٠] ،جاء في السنن القويم "صاموا سبعة أيام علامة النوح الشديد"[١٠١]

وجاء في سفر صموئيل الثاني"וַיָּבֹא כָל-הָעָם, לְהַבְרוֹת אֶת-דָּוִד לֶחֶם--בְּעוֹד הַיּוֹם ; וַיִּשָּׁבַע דָּוִד לֵאמֹר, כֹּה יַעֲשֶׂה-לִּי אֱלֹהִים וְכֹה יֹסִיף, כִּי אִם-לִפְנֵי בוֹא-הַשֶּׁמֶשׁ אֶטְעַם-לֶחֶם, אוֹ כָל-מְאוּמָה" "وَجَاءَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِيُطْعِمُوا دَاوُدَ خُبْزًا، وَكَانَ بَعْدُ نَهَارٌ. فَحَلَفَ دَاوُدُ قَائِلاً: «هكَذَا يَفْعَلُ لِيَ اللهُ وَهكَذَا يَزِيدُ، إِنْ كُنْتُ أَذُوقُ خُبْزًا أَوْ شَيْئًا آخَرَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ»[١٠٢]

كانت هذه طقوس الدفن عند بني إسرائيل كما ظهرت في العهد القديم، فهل عرف عرب الجاهلية طقوسا للدفن أم لا ؟ هذا ما سنتعرض له في المبحث التالي.

المبحث الثالث: طقوس الدفن في التراث العربي القديم

من الطقوس الدينية التي فرضت نفسها في كل المجتمعات وعند كل الشعوب هي طقوس الدفن لتعلقها بظاهرة الموت التي كان لها تأثير كبير على تفكير الإنسان سواء كان بدائيًا أو متحضرًا.

فالموتُ ظلّ الشغل الشاغل للإنسان وهو الذي وضعه في حالة نفسية مضطربة ناتجة عن الحيرة والقلق حول مصيره بعد الموت ،يقول الدكتور/ زكريا إبراهيم "إن القلق من الموت قلق لا سبب له سوى الوجود نفسه ، وهو مرض ميتافيزيقي لا علاج له ،إنه لعنة التناهي التي تحل بالإنسان منذ ولادته ،وكأنما كتب عليه أن يموت لمجرد أنه ولد"[١٠٣]؛ هذا وقد خلصت فلسفة العربي الجاهلي إلى حتمية الموت ولكن اختلفت في مرحلة ما بعد الموت فمنهم من رأى الموت هو آخر المراحل ولا يمكنه أن يبعث مرة أخرى وآخرون تأثروا ببعض الديانات فأمنوا بأنهم سيحيون حياة أخرى ،ولذلك نسج فكرهم طقوسًا جنائزية كما فعلت الشعوب الأخرى، والتي يظهر الاختلاف جليًا بينها لتعلقها بالمعتقد الديني ؛هذا وقد تعلقت طقوس الدفن عندهم ببقية من ديانات سماوية خاصَّة الحنيفية[١٠٤]، ومع قدم العهد بها رسخت هذه الأفكار والأفعال في الذاكرة رغم ظهور الوثنية في المجتمع العربي .

وكان الشاعر الجاهلي على وعي بأنه العقل المفكر للناس في عصره، والعين الفاحصة المدققة في معطيات الوجود وأحداثه، واللسان المعبر عن مشكلات الوجود، يقول زهير بن أبي سلمى(١٠٥):

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى　　من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم　　وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا
وأني متى أهبط من الأرض تلعة　　أجد أثرا قبلي جديدًا وعافيا
أراني إذا ما بتُّ بتُّ على هوى　　فثَّم إذا أصبحتُ أصبحتُ غاديا
بدا لي أن الله حقٌ فزادني　　إلى الحق تقوى الله ما قد بدا ليا

فالناس عند زهير تفنى نفوسهم والدهر ليس بفان، والإنسان معرض لأحداث الزمان التي لا تستقر على حال ،وهو في رحلته يمضي إلى القبر ،وهو بفطرته يرى أن الله حق فيزداد تقوى.

ويمثل زهير العقلانية في الشعر الجاهلي ، وهي عقلانية تقترن بالحنيفية في بعض وجوهها، لكنها لا تتخلص تمامًا من الرؤية الجاهلية حيث يسيطر الإحساس بالتناهي على وعي الجاهليين.

ومن الشعراء الذين نجد عندهم ذلك التأمل العقلي والترتيب المنطقي قس بن ساعدة إذ يقول(١٠٦):

في الذاهبين الأولين　　من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا　　للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها　　يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا　　يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا　　لة حيث صار القوم صائر

ومادام الخلود مستحيلاً فلا نعيم في هذه الدنيا، فالجاهليون لا يؤمنون بالبعث ولهذا يفتقدون الوعي بنعيم الآخرة، ومن هنا أصبحت النزعة التشاؤمية مسيطرة على وعي الجاهليين،

وبخاصة المثقفين كالشعراء الحكماء ، أما الشعراء اللاهين فإنهم قد اتجهوا إلى طلب اللهو تحقيقًا للمتعة ما داموا يفتقدون الإيمان بالحياة الآخرة ، ومن ثم يواجهون الفناء بعد الموت، يقول امرؤ القيس:[١٠٧]

تمتع من الدنيا فإنك فانٍ من النشواتِ والنساءِ الحسانِ

وهذا المذهب يميل إلى" اقتناص لذة الحياة خوفا من ضياعها، ويأسا من دوامها، فلعل في تحقيق اللذة انتصارًا على الموت ،ذلك أنه إذا كان الموت –كما تصوره الجاهليون– في نهاية الوجود الإنساني والتوقف عن ممارسة الحياة بكل متعها، فإن الموقف الوجودي للشاعر الجاهلي إنما يبرز عنيفًا في تحديه للموت والفناء بالغوص عن لذائذها لا حبًا في اللذة –بوصفها لذة– ولكن حبًا في الحياة وتعلقًا بها ،وكراهية في الفناء الذي تتوقف به ممارسة هذه اللذات"[١٠٨]

هذا وقد تعددت طقوس الدفن في التراث العربي القديم على النحو الآتي:

أولا: **غسل ذنوب الميت**:

يصور لنا الأفوه الأزدي ما يقوم به أهل الميت به بعد الموت من غسلٍ وتكفين، فيقول[١٠٩]

وما قلت يجديني ثوابي إذا بدت مفاصلُ أوصالي وقد شخص البصرُ

وجاءوا بماءٍ باردٍ يغسلونني فيا لك من غسلٍ سيتبعه غبرُ

وقد كانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر وأشنان ،ويغسلون رؤوسهم ولحاهم [١١٠]، واستمر ذلك الطقس بعد الإسلام وقد يكون من بقايا الحنيفية، وقد يكون دالاً على غسلهم لذنوب الميت من رجس الحياة ليستقبل حياة أخرى مطهرًا .

ثانيا: **عقر الرواحل على قبور الموتى**:

لقد كان من تقاليد عرب الجاهلية "عقر الإبل وتعليق البلية على القبور، ولم يكن هذا مكافأة أو مخافة من أرواح الأسلاف، بل كانوا يذبحونها عبرة لأعقابهم واحتفاظا لتقاليدهم في فضيلة المروءة التي كانت أساس حياتهم الاجتماعية"[١١١]، واحتجوا على ذلك بقول زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب[١١٢]

إن السماحة والمروءة ضُمّنا قبرًا بمرْوَ على الطريق الواضحِ
فإذا مررت بقبره فأعقر به كُومَ الهجان وكِّل طرفٍ سابِحِ
وانضحْ جوانبَ قبرِهِ بدمائِها فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ

وقال آخرون إنما كانوا يفعلون ذلك إعظامًا للميت كما كانوا يذبحون للأصنام[١١٣]، وقيل إنهم فعلوا ذلك "لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم منها ، وقيل إن الإبل أنفس أموالهم ،فكانوا يريدون بعقرها أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة"[١١٤]

ثالثا: **خصال الميت**:

فخصال الميت لا تفنى بفناء الجسد، فقد كان من عاداتهم دعائهم للميت بقولهم "لا تبعد" وقد يكون ذلك دلالة على تأثرهم البالغ لرحيل الميت، فهم يتمنون أن تبقى روحه معهم ولا تفارقهم، وبناء عليه ظهر عندهم ما يعرف بعبادة الأسلاف(Ancestor worship) أما عن الأسباب التي دعتهم إلى هذه العبادة فهي "الحب والتقدير للأبطال والرؤساء والأمل في استمرار دفاعهم عنهم وحمايتهم للجماعة التي تنتمي إليها كما كانت تفعل في حياتها ورد أذى الأعداء الأحياء منهم والأموات"[١١٥]، وفي ذلك تقول الفارعة بنت شداد في رثاء أخيها مسعود بن شداد:[١١٦]

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى يوما رهين صفيحات وأعواد

وقالت الخرنق بنت بدر[١١٧]

لا يبعدن قومي الذين هم سُمٌّ المُدَاة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأزُر

وقالت إمرأة ترثي ولدها[١١٨]

بنيت عليك بني أحوج ما كنا إليك صفائح الصخر
لا يبعدنك الله يا عمري إما مضيت فنحن بالإثر

وقالت الخنساء في رثاء أخويها:[١١٩]

فلا يبعدنَ الله صخرًا وعهده ولا يبعدن الله ربي معاويا

ولا يبعدنَّ الله صخرا فإنه أخو الجود يبني للفعال العواليا

وقال مالك بن الريب وهو يسخر من قول مشيعيه "لا تبعد":(١٢٠)

يقولون :لا تبعد وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا

رابعاً: إعلان الحداد:

يعد الندب عند المرأة الجاهلية من آثار فجيعة الموت، وقد اختلفت النادبات عند نزول المصائب" فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته، بصوت كترجيع الطير، وتقطع أنفاس المآتم، وتترك صدعًا في قلوب الجلامد، ونادبة تخفض من نشيجها وتقصد في نحيبها، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام، والثقة بجزيل الثواب، قال عمرو بن ذر: سألت أبي، ما بال الناس إذا وعظتهم بكوا، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا؟ قال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة"(١٢١)

هذا وقد عرف عرب الجاهلية استئجار النادبات، وكان أهل الجاه والغنى والأشراف يستأجرون النائحات للنياحة على الميت في بيته وخلف نعشه إلى القبر وفي مأتمه ويبالغون في ذلك تبعا لمنزلة المتوفي(١٢٢)، كما أن النساء عند العرب كن يعفرن رؤوسهن بالتراب وبالرماد والطين ويلطمن خدودهن بأيديهن ، ويسرن مع الجنازة إظهارا للحزن والجزع على الفقيد وترافقهن النادبات والمولولات ،يندبن الميت ويولولن عليه ويسرن حافيات مبالغة في إظهار الحزن(١٢٣)

هذا وقد ظهر لون غنائي عرف بالغناء المأتمي "فقد عرفت الجزيرة العربية عددًا من الجواري المغنيات كنَّ يندبن الموتى والقتلى ،وكان لهن أسلوبهن الغنائي الخاص الذي انفردن به دون سائر القيان ،وربما ساهمت السيدة العربية في هذا اللون من الغناء كما فعلت الخنساء وهند أم معاوية بن أبي سفيان"(١٢٤)

وكانت النائحات ينحن على سادة القوم وأشرافهم سنة كاملة، بذلك أوصى لبيد بن ربيعة ابنتيه في قوله:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضَرَ

فقوما وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شَعَر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه أضاع ولا خان الأمين ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

حتى إذا لحق لبيد بربه، نهضت ابنتاه بما أمرهما به، فكانتا تلبسان ثيابهما كل يوم وتقصدان إلى مجلس جعفر بن كلاب عظيم عشيرته فترثيانه، وكذلك أقامتا سنة كاملة ثم انصرفتا"[١٢٥]

هذا وقد ظهر الرثاء في المجتمع الجاهلي وكان يوافق المدح في المعاني ويخالفه في المشاعر قال ابن رشيق القيرواني "ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أنه المقصود به ميت، مثل: كان أو(عدمنا به كيت وكيت) وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت"[١٢٦]

"ولم يكن النساء يندبن موتاهن يوما أو أياما ، بل كن يطلن ذلك إلى سنين معدودات، ويقال إنهن كن يحلقن شعورهن ويلطمن خدودهن بأيديهن وبالنعال والجلود، وكن يصنعن ذلك على القبور وفي مجالس القبيلة والمواسم العظام ،ولعل في حلق رؤوسهن ما يجمع بينهن وبين الهجائين وما يشهد بأن هذ الرثاء إنما هو تطور عن تعويذات كانت تقال للميت وعلى قبره حتى يطمئن في لحده وبمر الزمن تطور الرثاء عندهم إلى حزنهم العميق إزاء ما أصابهم من الزمن في فقيدهم، فتلك التعويذات أصبحت وخاصة عند نسائهم بكاءً ونواحًا وندبًا حارًا ونجد بجانب هذا الندب ضربًا من الرثاء يقوم على تأبين الميت والإشادة بخصاله وصفاته"[١٢٧]

خامساً: علامات الحداد:-

لقد تعددت علامات الحداد عند عرب الجاهلية ، فكان منها :-

(أ)- حلق الشعر وخمش الوجه:

من المراسم الجنائزية التي فرضها المجتمع العربي في الجاهلية على المرأة التي مات زوجها أن" تحلق رأسها وتخمش وجهها وتغمس قطنة في دمها وتضعها على رأسها ، وتخرج طرف قطنتها ؛ليعلم الناس أنها مصابة ويسمى ذلك "السقاب" "[١٢٨]، يقول عمرو بن عمرو بن عدس لدخنتوس بنت لقيط وقد قتل أبوها:

يا ليت شعري عنك دخنتوس إذا أتاها الخبر المرموس

أتحلق القرون أم تميس ؟ لا بل تميس إنها عروس[١٢٩]

(ب)-**شق الجيوب**:

وكان من عادة المرأة المكلومة أن تقوم بشق جيبها وتمزيقه، وكانت المرأة" تمارس هذا الطقس عند سماعها نبأ موت قريب أو عزيز ؛إذ تعمد إلى تمزيق ثوبها الذي يستر جسدها وكانت تسمى بالشاقة"[١٣٠] وبذلك أوصى طرفه أخته بقوله[١٣١]

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

(جـ)-**ضرب النعلين على الوجه والصدر**:

كان من علامات الحزن على الميت أن المرأة العربية كانت تجعل في يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها، وإلى هذا يشير عبد مناف بن ربع الهذلي في قوله:[١٣٢]

ماذا يغير ابنتيْ ربعٍ عويلُهُما لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أُبطنت أحشاؤها قَصَبًا من بطن حَلْبة لا رَطْبًا ولا نَقِدا

إذا تأوَّب نوحٌ قامتا معه ضربًا أليمًا بِسبتٍ يلمع الجِلْدَا

رأينا كيف أسرفت بعض النساء في بيان حزنها، فأما ذوات الجزل والحسب الكريم، فهو عندهن مأثمة يأبين أن يهبطن إليها على رغم ما يشعل صدورهن من حرقة وحزن وتلك هي الخنساء" وما ضرب به المثل من تدلهها، وتصدع قلبها، واضطرام حشاها، لم ينزل بها الهلع إلى منازل أولئك المسرفات، فلم تحلق شعرًا، ولم تضرب صدرًا، وذلك حيث تقول في رثاء أخيها معاوية:

فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خير من النعلين والرأس الحليق[١٣٣]

(د)- **عدم التزين سنة كاملة**:

فالمرأة التي يموت زوجها " كان عليها أن تقيم مراسم الحداد ومن التقاليد المتعارف عليها أن تكون هذه المدة سنة كاملة لا تتزين خلالها المرأة"[١٣٤]

وعلى الرغم مما قامت به المرأة حيال زوجها الميت من طقوس تظهر حزنها الشديد إلا أننا وجدنا "الرجل في الجاهلية إذا توفيت زوجته فليس له أن يحزن عليها ،ويعاب إذا زار قبرها، وقد استمرت هذه العادة في الإسلام ، فهذا جرير يصرح بأن الحياء يمنعه من البكاء على زوجته ومن زيارة قبرها ، على شدة حبه لها فيقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار"(١٣٥)

وبعد هذا العرض لطقوس الدفن في العهد القديم والتراث العربي القديم ،وجدت أوجه اتفاق واختلاف بين كلٍّ منهما كان لزامًا عليّ أن أوضحها ،

أولا أوجه الاتفاق:

١- لم يعد الندب مقتصرًا عند بني إسرائيل وعرب الجاهلية على النساء بل شارك الرجال في ذلك.

٢- استأجر بنو إسرائيل النادبات ليندبن الميت وكذلك فعل عرب الجاهلية

٣- عمدت المرأة عند وفاة عزيز لديها عند بني إسرائيل وعرب الجاهلية إلى حلق شعرها وخمش وجهها.

٤- ظهر الرثاء عند بني إسرائيل وعرب الجاهلية وهو ذكر لمحاسن الميت

ثانيا أوجه الاختلاف:

١- إن طقوس الدفن عند بني إسرائيل كانت نتيجة اختلاطهم بالكنعانيين والبابليين والمصريين، بينما كانت طقوس الدفن عند عرب الجاهلية كانت نتيجة تأثرهم في بعضها بالحنيفية.

٢- أنكر بنو إسرائيل البعث بعد الموت بينما تأثر بعض عرب الجاهلية ببعض الديانات فأمنوا بأنهم سيحيون حياة أخرى .

٣- كان الرجل عند بني إسرائيل إذا ماتت زوجته يقيم لها مراسم الدفن حسب مكانتها أو مكانته بينما الرجل في الجاهلية إذا توفيت زوجته فليس له أن يحزن عليها ،ويعاب إذا زار قبرها.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

بعد هذه الجولة في بيان طقوس الدفن في العهد القديم والتراث العربي القديم كان لنا وقفة عند أهم النتائج التي خرجنا بها وهي:

١- آمن الكنعانيون بوجود حياة بعد الموت ولكن فكرتهم كانت بسيطة للغاية.

٢- أصر المصري القديم على الاحتفاظ بالجسد دون أن يبلى، ومن هنا جاء التحنيط بغية الإبقاء على كمال الجسد بعد انفصال الروح.

٣- لم يكن في عقيدة البابليين قيامة ولا رجعة للميت بعد موته.

٤- الدين البابلي كان دينًا أرضيًا عمليًا فهم لا يطلبون ثوابًا في الجنة بل كانوا يطلبون متسعًا في الأرض.

٥- لم يكن تقديم القرابين للميت في الطقوس البابلية إلا اتقاء لشر تلك الروح .

٦-يرى بنو إسرائيل وعرب ما قبل الإسلام أن الموت ضرورة حتمية لابد منها.

٧- كان الميت عند بني إسرائيل يدفن كما كان في الحياة الدنيا أي بردائه.

٨- كان عدم دفن الميت عند بني إسرائيل أشنع شيء يبتلى به الميت

٩- اتخذ ملوك مملكة يهوذا من أبراجهم مدافن أما فقراء بني إسرائيل ،فقد شيدت لهم مقابر جماعية.

١٠-ظهر الندابون والندابات عند بني إسرائيل بمقابل مادي.

١١- كانت المعددات عند بني إسرائيل والمصريين القدماء والبابليين وعرب الجاهلية يلطمن الخدود، ويصاحبن النعش في الطريق إلى القبر وهن يعددن وينحن.

١٢–ظهرت النائحة الثكلى والمستأجرة عند عرب الجاهلية.

١٣–. اختلف الرثاء في العهد القديم عن التعديد فالتعديد يتجه إلى تعديد الحزن وإثارة العاطفة، بينما يتجه الرثاء إلى تعداد فضائل الميت.

١٤–وافق الرثاء في المجتمع الجاهلي المدح في المعاني وخالفه في المشاعر.

١٥–تعددت مظاهر الحداد عند بني إسرائيل وعرب ماقبل الإسلام مابين شق الجيب ولطم الصدر وحلق الشعر ووضع التراب على الرأس.

١٦–اختلفت نظرة عرب ماقبل الإسلام في مرحلة ما بعد الموت فمنهم من رأى الموت هو آخر المراحل ولا يمكنه أن يبعث مرة أخرى وآخرون تأثروا ببعض الديانات فأمنوا بأنهم سيحيون حياة أخرى .

الهوامش

(١)– אברהם אבן-שושן : המלון החדש הוצאת קרית- ספר בעמ ירושלים עמ״1272

(٢)– דוד שגיב : מלון שגיב ערבי- עברי. עברי- ערבי הוצאת שוקן ירושלים ותל –אביב 2008 עמ״330

(٣)– אברהם אבן-שושן : אותו מקור קודם עמ״1272

(٤)– אותו מקור קודם עמ״1272

(٥)–صموئيل الثاني١٤:١٤

(٦)–أيوب٣٤:١٥

(٧)–الجامعة ٣:١

(٨)– אנצקלופדיה מקראית : אוצר הידיתעות על המקרא ותקופתו ירושלים1962 עמ״754

(٩)–الفيروزآبادي (مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب): القاموس المحيط.ط٨ ٢٠٠٥م مؤسسة الرسالة مادة "مات"ص ١٦٠

(١٠)– ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم): لسان العرب.دار صادر بيروت د.ت المجلد الثاني مادة "موت" ص٩١،٩٠

(١١)– مجمع البحوث الإسلامية: شرح المصطلحات الفلسفية.دار البصائر طهران ١٤١٤هـ ج ٣ ص٣٩٢

(١٢)– مُحَمَّد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ط١ مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان ١٩٩٧م ج٤ ص ٦٣

(١٣)–أبو حيان التوحيدي: المقابسات تحقيق وشرح/ حسن السندوبي ط٢ دار سعاد الصباح الكويت ١٩٩٢م ص٣١٤

(١٤)– الجرجاني(علي بن مُحَمَّد السيد الشريف): معجم التعريفات .
تحقيق ودراسة/ مُحَمَّد صديق المنشاوي .دار الفضيلة القاهرة د.ت باب الميم مع الواو ص١٩٩

(١٥)– عامر سليمان : العراق في التاريخ القديم –الموصل ١٩٩٣م ج٢ ص١٣٨

(١٦)–المرجع نفسه ج٢ ص ١٣٩

(١٧)– جاك شورون : الموت في الفكر الغربي .ترجمة/كامل يوسف حسين.مطبعة الرسالة الكويت ١٩٨٤م ص ٢٣

(١٨)– خزعل الماجدي:المعتقدات الكنعانية .دار الشروق عمان ٢٠٠١م ص٢٥٠،وانظر كذلك:جان مازيل:تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية) نرجمة/ربا الخش . ط ١ دار الحوار سوريا١٩٩٨م ص٣٧

(١٩)– د/ نجيب ميخائيل إبراهيم:مصر والشرق الأدنى القديم.مؤسسة المطبوعات الحديثة .مصر ١٩٥٩م ج٤ ص١٩٠–١٩١

(٢٠)–د/ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .بغداد ط١ ١٩٧٣م ج٢ ص٣٢

[٢١]–ول ديورانت :قصة الحضارة. ترجمة / محمد بدران .لجنة التأليف والترجمة والنشر .القاهرة ط٣ ١٩٦١م ج٢ ص٢٢١

[٢٢]– د/ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٢٣٦

[٢٣]– ل.ديلابورت: "بلاد مابين النهرين" الحضارتان البابلية والآشورية المطبعة النموذجية القاهرة د.ت ص٢٠٧

[٢٤]– حاييم الزعفراني:"يهود الأندلس والمغرب" ترجمة/أحمد شحلان.مطبعة النجاح الجديدة الرباط ١٩٩٦م ج٢ ص٤٧٢

[٢٥]– أيوب ١٦:٧

[٢٦]– الملوك الأول١٣:٢٢

[٢٧]– ول ديورانت: المرجع السابق ج٢ ص ٣٤٥

[٢٨]– حبيب سعيد: أديان العالم الكبرى ط٢ دار الشرق والغرب بولاق مصر د.ت مقالة "اليهودية" ص٧٤

[٢٩]–لقد تصور سكان وادي الرافدين وجود عالم تحت الأرض هو عالم الأموات ،واعتقدوا بأن الميت ينزل إلى هناك حيث يبقى إلى أبد الدهر ،والمفروض في الميت أنه ينحدر إلى عالم الأموات من القبر ،ولكن بعض المصادر المسمارية تشير إلى وجود بوابات في الأرض تطل على هذا العالم وتؤدي إليه ، وتصور السومريون عالم الأموات بأنه كان مخيفا له سبع بوابات يحرسها آلهة معينة وأن لهذا العالم قواعد خاصة به، فالذي يدخل إليه ينبغي أن يمر ببواباته السبع وأنه لا يستطيع الخروج منه إلا بعد تقديم بديل عنه(انظر: Kamer :Sumerian Mythology (Revised Edition Harper and Torchbook New York 1961p.34

[٣٠]–العدد١٦:٣٣

[٣١]–د/ حسني عبد الجليل يوسف:الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٨٨م ص٢٩

[٣٢]–أبو تمام(حبيب بن أوس الطائي):الوحشيات.تحقيق/عبد العزيز الميمني.دار المعارف مصر ط٢ ١٩٦٣ م ص١٦٢

[٣٣]–د/ حسني عبد الجليل يوسف:المرجع السابق ص٢٩

[٣٤]–شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، تحقيق/ عبد السلام هارون .دار المعارف القاهرة ١٩٦٣م ص٣٧٤

[٣٥]– ديوان عدي بن زيد العبادي: تحقيق/عبد الجبار المعبيد بغداد ١٩٦٥م ص٦٤

[٣٦]– طه الهاشمي:تاريخ الأديان وفلسفتها.دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣م ص٢١٧

[٣٧]– د/ خزعل الماجدي: "متون سومر" الكتاب الأول .الأهلية للنشر والتوزيع الأردن ١٩٩٨م ص٣٠٩

[٣٨]– حاييم الزعفراني: المرجع السابق ج٢ ص٤٥٩

[٣٩] د/ فؤاد حسنين علي : إسرائيل عبر التاريخ في البدء .مطبعة الرسالة القاهرة د.ت ص ٢١٦،٢١٧

(٤٠)–د/ سوزان السعيد يوسف : المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم) ط١.عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.القاهرة ٢٠٠٥م ص ٥٢

(٤١)– صموئيل الأول ٢٨:١٣،١٤

(٤٢)– حزقيال ٣٢:٢٦

(*)– المخفة : مركب كالهودج إلا أن الهودج يقبب والمخفة لا تقبب
(انظر: لسان العرب مادة"حفف" ص٤٩)

(٤٣)– صموئيل الثاني ٣:٣١

(٤٤)– التكوين ٢٣:١٩

(٤٥)– Neufeld.E.ph.Litt: Ancient Hebrew Marriage Laws with special references General Semitic Laws and customs London 1944 p.238

(٤٦)– عاموس ٢:١

(٤٧)–وليم مارش:السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم (شرح سفر عاموس) صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى–بيروت ١٩٧٣م ص٥

(٤٨)– الملوك الأول١٤:١١

(٤٩)–السنن القويم: شرح سفر الملوك الأول ص٥٠

(٥٠)– ل.ديلابورت :المرجع السابق ص٢٠٨،٢٠٧

(٥١)– حزقيال ٣٩:١٥

(٥٢)– صموئيل الثاني ٢١:١٠

(٥٣)– السنن القويم: شرح سفر صموئيل الثاني ص ٥٦

(٥٤)– التثنية٢١:٢٢–٢٣

(٥٥)– د/خزعل الماجدي: المعتقدات الكنعانية. ص ٢٥٠

(٥٦)– التكوين ٢٣ :٨–٩

(٥٧)– صموئيل الأول ٢٥:١

(٥٨)– الملوك الأول٢:٣٤

(٥٩)– حزقيال ٤٣:٧

(٦٠)– إرميا٢٦:٢٣

(٦١)– إشعياء ٥٣:٩

(٦٢)– السنن القويم: شرح سفر إشعياء ص١٩٧

(٦٣)– الملوك الأول ١٣:٢٢

(٦٤)– السنن القويم: شرح سفر الملوك الأول ص٤٨

(٦٥)– د/ سعيد عطية علي مطاوع:الشعر في العهد القديم الأغراض والسمات الفنية .مركز الدراسات الشرقية القاهرة ٢٠٠٦م ص ٢٠

(٦٦)– صموئيل الثاني ٣:٣١

(٦٧)–شوقي عبد الحكيم: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية.الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م ج١ ص٩٧

(٦٨)– إرميا ٩ :١٧–١٨

(٦٩)– عاموس ٥:١٦

(٧٠)– الجامعة ١٢:٥

(٧١)– السنن القويم: شرح سفر الجامعة ص ٢٥

(٧٢)– ابن منظور: لسان العرب. مادة "رثى" ص١٥٨٢

(٧٣)– المعجم الوسيط جـ ١ ط ٣ مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٥ ص٣٤١

(٧٤)د/ سعيد عطية: مرجع سابق ص٢٢

(٧٥)– جيمس فريزر:الفولكلور في العهد القديم .ترجمة/نبيلة إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٢ م ج٢ ص١٢٠

وانظر: אוצר ישראיל : אנצקלופדיה .מנדון הוצאת שאפירא ולוטין ושותפיו נשנת תרצ״ה לפ״ן חלק שני עמ״50

(٧٦) انظر" שבי׳ל : ספר המלים קונקורדאנציא החדש 1908עמ״43

(٧٧)–التثنية ١٠:١٨

(٧٨)– Learsi,Rufus L:Israel AHistory of the jewish people .Meridian Books ceveland and 1966New York
p.26

(٧٩)– التثنية١٤:٢٩

(٨٠) التكوين ٢٣:١٤،١٥

(٨١)– التكوين ٣٥:٢٠

(٨٢)– صموئيل الثاني ٣:٣١

(٨٣)– السنن القويم: شرح سفر صموئيل الثاني ص١٠

(٨٤)– إشعياء ١٥:٣

(٨٥)– السنن القويم: شرح سفر إشعياء ص٦١

(٨٦)– يشوع ٦:٧

(٨٧)– السنن القويم: تفسير سفر يشوع

(٨٨)– صموئيل الثاني ٢:١

(٨٩)– إشعياء ٢٦:٣

(٩٠)– إشعياء ١٢:٣٢

(٩١)– حزقيال ١٧:٢٤

(٩٢)– صموئيل الثاني ٣٠:١٥

(٩٣)– السنن القويم: شرح سفر صموئيل الثاني ص٤٠

(٩٤)– التثنية ١:١٤

(٩٥)– أيوب٢٠:١

(٩٦)– السنن القويم: شرح سفر أيوب ص٦

(٩٧)– إشعياء ١٢:٢٢

(٩٨)– السنن القويم: شرح سفر إشعياء ص ٨٠

(٩٩)– إرميا ٦:١٦

(١٠٠)– صموئيل الأول ١٣:٣١

(١٠١)– السنن القويم: شرح سفر صموئيل الأول ص١٠١

(١٠٢)– صموئيل الثاني ٣٥:٣

(١٠٣)–د/ زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة.مكتبة مصر ١٩٧١م ص١٩٨

(١٠٤)–ظهرت قبل الإسلام حركة جديدة أصحابها جماعة من عقلاء العرب ، سمت نفوسهم عن عبادة الأوثان ،ولم يجنحوا إلى اليهودية أو النصرانية،وإنما قالوا بوحدانية الله، ويعرف هؤلاء بالأحناف أو الحنفاء أو المتحنفين ، وهي جمع لحنيف (صفة إبراهيم عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى "وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين"(سورة البقرة آية ١٣٥)

(انظر:د/السيد عبد العزيز سالم:دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام.مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية د.ت ص ٤٣٤)

(١٠٥)–ديوان زهير بن أبي سلمى:الدار القومية بمصر ١٩٦٤م ص٢٨٤–٢٨٩.

(١٠٦)– لويس شيخو : شعراء النصرانية مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٨٢م ص ٢١٣

(١٠٧)–ديوان امرئ القيس، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م ص٣٤٥

(١٠٨)–د/ عفت الشرقاوي: قضايا الأدب الجاهلي، النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م ص ٢٨٧

(١٠٩)– الآلوسي(السيد محمود شكري):بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب.عني بشرحه/ مُحَمَّد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية بيروت د.ت ج٢ ص ٢٨٨

(١١٠)–مُحَمَّد نعمان الجارم: أديان العرب في الجاهلية .مطبعة السعادة مصرط١ د.ت ص ٨٧

(١١١)–د/ مُحَمَّد عبد المعيد خان:الأساطير العربية قبل الإسلام.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧م ص١٥٣

(١١٢)–ابن قتيبة : الشعر والشعراء.تحقيق وشرح /أحمد مُحَمَّد شاكر. دار المعارف القاهرة د.ت ج١ ص٤٣١

(١١٣)–د/ مُحَمَّد حسين طقوش:تاريخ العرب قبل الإسلام.ط١ دار النفائس بيروت ٢٠٠٩م ص٢٤٥

(١١٤)–د/أحمد مُحَمَّد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي ط٢ .مكتبة نهضة مصر د.ت ص٣٩٨

(١١٥)– د/ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط٢ نشر جامعة بغداد ١٩٩٣م ج٦ ص٤٤

(١١٦)– لويس شيخو:مجالس الأدب في حدائق العرب .مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٣م ج٥ ص٢٢٥

(١١٧)–ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان:شرحه وحققه/ يسري عبد الغني عبدالله .ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م ص٤٢

(١١٨)– لويس شيخو: مجالس الأدب في حدائق العرب ج٥ ص٢٢٩

(١١٩)– ديوان الخنساء: دراسة وتحقيق د/ إبراهيم عوضين .ط١ مطبعة السعادة ١٩٨٥م ص٤٢٤

(١٢٠)–المرزباني(أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران بن موسى ٢٩٧–٣٨٤هـ): معجم الشعراء .تحقيق د/فاروق أسلم دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٥م ص٣١٤

(١٢١)– ابن عبد ربه(أحمد بن مُحَمَّد):طبائع النساء وماجاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار.تحقيق وتعليق/ مُحَمَّد إبراهيم سليم.مكتبة القرآن القاهرة د.ت ص١٩٥

(١٢٢)–د/ جواد علي : المرجع السابق ج٥ ص ١٥٢

(١٢٣)–المرجع نفسه ج٥ ص ١٥٦

(١٢٤)–Arthur Jeffery:The Foreign Vocabulary Of The Que'an Baroda 1988 p.118

(١٢٥)–البغدادي(عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.ط٤ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م ج٤ ص٣٤٠

(١٢٦)–د/ غازي طليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي .دار الفكر بيروت ٢٠٠٢م ص٢٤٢

(١٢٧)–د/ شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ط١١ دار المعارف القاهرة ١٩٦٠م ص٢٠٧

(١٢٨)–الزبيدي(مُحَمَّد مرتضى الحسيني ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م):تاج العروس.تحقيق/ عبد الكريم العزباوي ط٢ الكويت ١٩٨٧م مادة"سقب"

(١٢٩)– المرزباني: : معجم الشعراء ص٣٦،٣٧

(١٣٠)–د/ جواد علي:المرجع السابق ج٥ ص ١٥٥

(١٣١)–ديوان طرفة بن العبد : شرحه وقدم له/ مهدي مُحَمَّد ناصر الدين ط٣دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢م ص ٢٩

(١٣٢)–المبرد(أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب.ط٣ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٧م ج٤ ص٤٦

(١٣٣)– عبد الله عفيفي: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ط٢ مكتبة الثقافة المملكة العربية السعودية ١٩٣٢م ج١ ص١٤٤،١٤٣

(١٣٤)– د/ أحمد صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب.بغداد ١٩٦٠م ج١ ص٤٢

(١٣٥) د/ عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة .عالم المعرفة الكويت ١٩٨٤م عدد أغسطس ص٢٢٧،٢٢٦

المصادر والمراجع

أولا: **القرآن الكريم**

ثانيا: **المصادر والمراجع العربية**:-

١- إبراهيم زكريا إ(دكتور): مشكلة الحياة. مكتبة مصر ١٩٧١م

٢- إبراهيم ،نجيب ميخائيل(دكتور):مصر والشرق الأدنى القديم. مؤسسة المطبوعات الحديثة. مصر ١٩٥٩م

٣- الآلوسي (السيد محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. عني بشرحه/ مُحَمَّد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية بيروت د.ت

٤- باقر، طه (دكتور): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .بغداد ط١ ١٩٧٣م

٥- البغدادي(عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.ط٤ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م

٦- الترمانيني، عبد السلام (دكتور): الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة .عالم المعرفة الكويت ١٩٨٤م عدد أغسطس

٧- أبو تمام(حبيب بن أوس الطائي):الوحشيات. تحقيق/عبد العزيز الميمني. دار المعارف مصر ط٢ ١٩٦٣م

٨- التوحيدي ،أبو حيان: المقابسات تحقيق وشرح/ حسن السندوبي ط٢ دار سعاد الصباح الكويت ١٩٩٢م

٩- الجارم ،مُحَمَّد نعمان: أديان العرب في الجاهلية .مطبعة السعادة مصر ط١ د.ت

١٠-الحوفي،أحمد مُحَمَّد (دكتور): الحياة العربية من الشعر الجاهلي ط٢.مكتبة نهضة مصر د.ت

١١-خان ،مُحَمَّد عبد المعيد (دكتور):الأساطير العربية قبل الإسلام. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧م

١٢- ديلابورت، ل: "بلاد ما بين النهرين" الحضارتان البابلية والآشورية المطبعة النموذجية القاهرة د.ت

١٣- ديورانت، ول: قصة الحضارة. ترجمة / مُحَمَّد بدران .لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ط٣ ١٩٦١م

١٤- الزبيدي(مُحَمَّد مرتضى الحسيني ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م):تاج العروس. تحقيق/ عبد الكريم العزباوي ط٢ الكويت ١٩٨٧م

١٥- الزعفراني ،حاييم: "يهود الأندلس والمغرب" ترجمة/أحمد شحلان. مطبعة النجاح الجديدة الرباط ١٩٩٦م

١٦- سالم، السيد عبد العزيز(دكتور):دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام. مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية د.ت

١٧- سعيد ،حبيب: أديان العالم الكبرى ط٢ دار الشرق والغرب بولاق مصر د.ت

١٨- سليمان ،عامر : العراق في التاريخ القديم ج٢ –الموصل ١٩٩٣م

١٩- شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، تحقيق/ عبد السلام هارون .دار المعارف القاهرة ١٩٦٣م

٢٠- الشرقاوي عفت (دكتور): قضايا الأدب الجاهلي، النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م

٢١- شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي .ترجمة/ كامل يوسف حسين. مطبعة الرسالة الكويت ١٩٨٤م

٢٢- شيخو، لويس : شعراء النصرانية مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٨٢م

٢٣- " " :مجالس الأدب في حدائق العرب .مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٣م

٢٤- ضيف، شوقي (دكتور):تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ط١١ دار المعارف القاهرة ١٩٦٠م

٢٥-الطباطبائي ،مُحَمَّد حسين: الميزان في تفسير القرآن ط١ مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان ١٩٩٧م

٢٦-طقوش، مُحَمَّد حسين (دكتور):تاريخ العرب قبل الإسلام.ط١ دار النفائس بيروت ٢٠٠٩م

٢٧–طليمات، غازي (دكتور)، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي .دار الفكر بيروت ٢٠٠٢م
٢٨–عبد الحكيم ،شوقي: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م
٢٩–ابن عبد ربه(أحمد بن مُحَمَّد):طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار. تحقيق وتعليق/ مُحَمَّد إبراهيم سليم. مكتبة القرآن القاهرة د.ت
٣٠عفيفي، عبد الله: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ط٢ مكتبة الثقافة المملكة العربية السعودية ١٩٣٢م
٣١– العلي، أحمد صالح (دكتور): محاضرات في تاريخ العرب. بغداد ١٩٦٠
٣٢–علي جواد (دكتور): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط٢ نشر جامعة بغداد ١٩٩٣م
٣٣– علي، فؤاد حسنين (دكتور) : إسرائيل عبر التاريخ في البدء .مطبعة الرسالة القاهرة د.ت
٣٤–فريزر،جيمس:الفولكلور في العهد القديم .ترجمة/نبيلة إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٢
٣٥–ابن قتيبة (أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم الدينوري ت٢٧٦هـ): الشعر والشعراء. تحقيق وشرح /أحمد مُحَمَّد شاكر. دار المعارف القاهرة د.ت
٣٦–لويس شيخو: شعراء النصرانية مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٨٢م
٣٧– الماجدي، خزعل (دكتور): "متون سومر" الكتاب الأول .الأهلية للنشر والتوزيع الأردن ١٩٩٨م
٣٨– " " " :المعتقدات الكنعانية .دار الشروق عمان ٢٠٠١م
٣٩–مارش وليم: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى–بيروت ١٩٧٣م
٤٠– مازيل، جان :تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية) ترجمة/ربا الخش . ط ١ دار الحوار سوريا١٩٩٨م

٤١- المبرد(أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب.ط٣ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٧م

٤٢-مجمع البحوث الإسلامية: شرح المصطلحات الفلسفية. دار البصائر طهران ١٤١٤هـ

٤٣- المرزباني (أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران بن موسى ٢٩٧-٣٨٤هـ): معجم الشعراء .تحقيق د/فاروق أسلم دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٥م

٤٤- مطاوع ،سعيد عطية علي (دكتور):الشعر في العهد القديم الأغراض والسمات الفنية .مركز الدراسات الشرقية القاهرة ٢٠٠٦ م

٤٥-الهاشمي ،طه: تاريخ الأديان وفلسفتها. دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣م

٤٦-يوسف، حسني عبد الجليل (دكتور):الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٨٨م

٤٧-يوسف سوزان السعيد (دكتور) : المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم) ط١.عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية. القاهرة ٢٠٠٥م

ثالثا: القواميس والمعاجم والدواوين:-

٤٨- ديوان امرئ القيس، تحقيق / مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م

٤٩- الجرجاني(علي بن مُحَمَّد السيد الشريف): معجم التعريفات .تحقيق ودراسة/ مُحَمَّد صديق المنشاوي. دار الفضيلة القاهرة د.ت

٥٠- ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان: شرحه وحققه/ يسري عبد الغني عبدالله .ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م

٥١- ديوان الخنساء: دراسة وتحقيق د/ إبراهيم عوضين .ط١ مطبعة السعادة ١٩٨٥

٥٢- ديوان زهير بن أبي سلمى: الدار القومية بمصر ١٩٦٤م

٥٣- ديوان طرفة بن العبد : شرحه وقدم له/ مهدي مُحَمَّد ناصر الدين ط٣دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢م

٥٤–ديوان عدي بن زيد العبادي: تحقيق/عبد الجبار المعبيد بغداد ١٩٦٥م

٥٥–الفيروزآبادي(مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب): القاموس المحيط.ط٨ مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥م

٥٦– المرزباني(أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران بن موسى ٢٩٧–٣٨٤هـ): معجم الشعراء .تحقيق د/فاروق أسلم دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٥م

٥٧– المعجم الوسيط جـ ١ ط ٣ مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٥

٥٨– ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم): لسان العرب. دار صادر بيروت د.ت.

رابعا :**المصادر والمراجع الأجنبية**:-

59-Arthur Jeffery:The Foreign Vocabulary Of The Que'an Baroda 1988

60-Kamer :Sumerian Mythology Revised Edition Harper and Torchbook New York 1961

61 -Learsi,Rufus L:Israel AHistory of the jewish people .Meridian Books ceveland and New York 1966

62-Neufeld.E.ph.Litt: Ancient Hebrew Marriage Laws with special references General Semitic Laws and customs London 1944

خامسا: **المصادر و المراجع العبرية**:-

63- אברהם אבן-שושן: המלון החדש הוצאת קרית- ספר בעמ ירושלים1986

64-אוצר ישראיל : אנצקלופדיה .מנדון הוצאת שאפירא ולוטין ושותפיו נשנת תרצ״ה לפ״ן חלק שני

65- אנצקלופדיה מקראית : אוצר הידיתעות על המקרא ותקופתו ירושלים1962

66- דוד שגיב: מלון שגיב ערבי- עברי. עברי- ערבי הוצאת שוקן ירושלים ותל –אביב 2008

67- שבי'ל: ספר המלים קונקורדאנציא החדש 1908

68- תנ״ך: ״תורה_ נביאים_ כתובים״ ירושלים 1991